2007م، ج 10، ص 5312–5313؛ الهوريني، المطالع، ص 69–79؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 306–311؛ رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص 31–35.

80 عبد السلام هارون، قواعد الإملاء العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م، ص 12–21؛ عبد العليم إبراهيم، الإملاء والترقيم، مكتبة غريب، القاهرة، 1975م، ص 45–53؛ عمر الطباع، المحيط، ص41–56؛ رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1996م، ص 35.

ص 322. وهنالك اختلاف في رواية (كانت) فبدلا منها استعمل الفعل (صارت)، ودون إدخال (الواو) قبل (الله) كما أورده: ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ)، الخصائص، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،2001م، ج 1، ص 309–310؛ البغدادي، عبد القادر بن عمر(ت 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1968–1989م، ج 5، ص 177؛ ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 31؛ الأشموني، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد (ت 900هـ)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج 4، ص 14؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 72؛ أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1983م، ص 502.

67 الهوريني، المطالع، ص 145؛ الأشموني، شرح، ج 4، ص13.

68 السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1943م، ج 2، ص 73.

69 غانم قدوري الحمد، علم الكتابة العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2004م، ص 106.

70 N. Abbott, (1939) The Rise of the north Arabic Script and its Kur'ānic development. The University of Chicago Press, Chicago, ص2 من ملحق الرسومات،الشكل رقم1

71 C. Kessler,(1970) ᶜAbd Al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock: A Reconsideration, JOURNAL OF THE ROYAL ASIATIC SOCIETY, no.1, p. 2-14.

72 A. Elad, (1999) "The southern Golan in early Muslim period". Der Islam, 76, pp. 33–88.

73 رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية: دارسات في تاريخ الكتابة وأصولها عند الساميين لرمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص 177–178.

74 صلاح الدين المنجد، دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1981م، ص 19.

75 رمزي بعلبكي، الكتابة العربية والسامية، ص 177–178.

76 الصبان، حاشية، ج 4، ص 302؛ البناء الدمياطي، أحمد بن محمد (ت 1117هـ)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر المسمى: منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات رواه وصححه وعلق عليه: علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1986م، ص 103.

77 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 274–275.

78 غانم الحمد، علم الكتابة، ص 108.

79 ناظر الجيش، محب الدين محمد بن يوسف (ت 778هـ)، شرح التسهيل المسمى: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تحقيق: علي محمد فاخر وزملائه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،

50 ابن وثيق، الجامع، ص 54.

51 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 244.

52 ابن الجزري، النشر، ج 2، ص 105.

53 أبو حيان، البحر المحيط، ج 1 ،ص 143؛ السخاوي، الوسيلة، ص 89؛ ابن وثيق، الجامع، ص63.

54 أبو حيان، البحر المحيط، ج 2، ص 262.

55 السخاوي، الوسيلة، ص 100.

56 غانم الحمد، رسم المصحف، ص218

57 السخاوي، الوسيلة، ص 41 ؛ أبو حيان، البحر المحيط، ج 2، ص 161؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 224 – 229؛ ابن وثيق، الجامع، ص 67.

58 خليل نامي، أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، مجلة كلية الآداب– القاهرة، المجلد العاشر، العدد الأول، 1935م، ص 88؛ عمر فاروق الطباع، المحيط في قواع الإملاء، دار القلم، دمشق، 1993م، ص 19؛ إميل بديع يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ص 139.

59 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 200؛ الهوريني، أبو الوفاء الشيخ نصر الهوريني، المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، بولاق، 1275 هـ، ص 141؛ الصولي، أبو بكر محمد بن يحي (ت 353هـ)، أدب الكتاب، تحقيق: محمد بهجت الأثري ومحمد شكري الألوسي، المكتبة العربية، بغداد، 1341هـ، ص 250؛ ابن القاصح، شرح، ص 155.

60 ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 230–231.

61 الهوريني، المطالع، ص 141؛ الصبان، أبو العرفان محمد بن علي (ت 1206هـ)، حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني، تحقيق: محمود بن الجميل، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002م، ج 4، ص 302–303؛ الأزهري، خالد بن عبد الله(ت 905هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج 2،ص 630–631.

62 الهوريني، المطالع، ص 143.

63 ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص 200.

64 المصدر السابق نفسه.

65 ابن النحاس، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت 698هـ)، التعليقة على المقرب لابن عصفور في علم النحو، تحقيق: جميل عويضة، وزارة الثقافة، عمان، 2004م، ص 585.

66 الهوريني، المطالع، ص 144، ورد هذان البيتان من الرجز للراجز أبي النجم العجلي كما جاء في: الأزهري، شرح التصريح على التوضيح، ج 2، ص 631؛ الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، ج 4، ص 301–302؛ ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن (ت 769هـ)، المساعد على تسهيل الفوائد، تحقيق: محمد كامل بركات، مركز إحياء التراث الإسلامي ــ جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2001م، ج 4،

29 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 61؛ أحمد شكري، الترجيح والتعليل لرسم وضبط بعض كلمات التنزيل، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثالث، 1428هـ، ص 241–242.

30 السخاوي، الوسيلة، ص 170–171؛ الداني، المحكم، ص 174؛ ابن وثيق، الجامع، ص 58؛ أبو داود، مختصر التبيين، ج 3، ص 725، 726، 732؛ المهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص 96.

31 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 358–359.

32 الداني، المقنع ، ص 45؛ السخاوي، الوسيلة، ص 159؛ ابن وثيق، الجامع، ص 57؛ أبو داود، مختصر التبيين، ج 3، ص 625، ج 4، ص 944؛ المهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص 96.

33 السخاوي، الوسيلة، ص 158–159.

34 الداني، المحكم، ص 177؛ أبو داود، مختصر التبيين، ج 2، ص 75؛ السخاوي، الوسيلة، ص 357–358؛ ابن وثيق، الجامع، ص 59.

35 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 323–328.

36 المرجع السابق نفسه.

37 المرجع السابق نفسه.

38 أبو داود، مختصر التبيين، ج 3، ص 572–573؛ السخاوي، الوسيلة، ص 358–360.

39 ابن وثيق، الجامع، ص 46؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 252.

40 ا لداني، المقنع، ص 47؛ ابن وثيق، الجامع، ص 60؛ السخاوي، الوسيلة، ص 351–352؛ أبو داود، مختصر التبيين، ج 1، ص 369–371؛ المهدوي، هجاء المصاحف، ص 97–98؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 332–342.

41 المرجع السابق، ص 335–338؛ السخاوي، الوسيلة، ص 352.

42 المرجع السابق نفسه.

43 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 261.

44 هذا ما ذكره الدكتور أحمد شرشال محقق كتاب أبي داود، مختصر التبيين ، ج 4، ص 904، ملحوظة رقم: 3.

45 المصدر السابق نفسه؛ ابن الجزري، النشر، ج 2، ص 106.

46 المثال الآخران: (وقالوا يأيهَ الساحر ادع لنا ربك) (الزخرف 49) ؛ (سنفرغ لكم أيهَ الثقلان) (الرحمن 31).

47 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 251–252.

48 الداني، المقنع، ص 35؛ السخاوي، الوسيلة، ص 356.

49 ابن الجزري، النشر، ج 2، ص 105.

13 الجهني، كتاب البديع، ص 291– 292، انظر الملحوظة رقم: 117 للمحقق: غانم قدوري الحمد ص 292 التي أوضح من خلالها أن الاختيار في هذه الآية الوقف على (هم) على اعتبار أن (كالوهم) كلمة واحدة، والضمير في موضع نصب.

14 محمد علي الخولي، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 2000م، ص 56.

15 غانم الحمد، رسم المصحف، ص293.

16 المرجع السابق، ص 285 –287.

17 الجهني، البديع، ص72؛ أبو داود، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، ج 4، ص 999؛ أبو حيان، محمد بن يوسف (ت 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م،ج 7، ص 211.

18 السخاوي، الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص 250؛ ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي (ت 643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، تحقيق: إميل يعقوب بديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ج 5، ص 232؛ غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، ص 222.

19 الجهني، البديع في الرسم العثماني، ص 75–76؛ المهدوي، هجاء مصاحف الأمصار، ص 95–96؛ السخاوي، الوسيلة إلى كشف العقيلة، ص 254–257؛ أبو داود، مختصر التبيين، ج 5، ص 1248، 1250؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 223.

20 الداني، المحكم، ص 175؛ الداني، المقنع، ص 42؛ السخاوي، الوسيلة، ص 103.

21 الفراء، معاني القرآن، ج 2، ص 134.

22 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 352– 345؛ غانم الحمد، علم الكتابة العربية، ص 128–131.

23 المرجع السابق نفسه.

24 الزبيدي، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، 1994م، مادة (مأي).

25 السخاوي، الوسيلة، ص 316–317؛ ابن وثيق، الجامع، ص 58؛ الداني، المقنع، ص 42.

26 غانم الحمد، رسم المصحف، ص 360–361.

27 المراكشي، أبو العباس أحمد بن البناء (ت 721هـ) ، عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص 62–63؛ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م، ج 1، ص 385.

28 السخاوي، الوسيلة، ص 238–239؛ الداني، المحكم، ص 174؛ ابن وثيق، الجامع، ص 58.

6 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ)، المقدمة، ضبط وشرح وتقديم: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، 2006م، ص 388.

7 أبو داود، سليمان بن نجاح (ت 496هـ)، مختصر التبيين لهجاء التنزيل، دراسة وتحقيق: أحمد بن أحمد شرشال، وزارة الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية، 2002م، مقدمة محقق الكتاب أحمد شرشال: ج 1، ص 129 فصاعدا؛ محمد حبيب الله الشنقيطي، إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع المصحف الإمام، ص17 فصاعدا؛ عبد الكريم صالح، المتحف، ص 86 فصاعدا؛ محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، تحقيق: أحمد عيسى المعصراوي، دار أصوات السلف، الرياض، 2008م، ص 52 فصاعدا؛ عبد الحي الفرماوي، رسم المصحف، ص 83–138؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 77 فما فوق؛ المقنع لأبي عمرو الداني: ص3 فما فوق.

8 أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت 444هـ)، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، 1983م، (مصورة عن طبعة 1940)، ص 42، وانظر المصدر السابق نفسه، ص 55– ص 59؛ ابن القاصح، أبو البقاء علي بن عثمان (ت 801هـ)، شرح تلخيص الفوائد و تقريب المتباعد على عقيلة أتراب القصائد في علم الرسم، تحقيق: عامر السيد عثمان، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2006م، ص 102–103؛ ابن وثيق، إبراهيم بن محمد الأندلسي (ت 654هـ)، الجامع لما يحتاج إليه من رسم المصحف إبراهيم بن محمد بن وثيق، تحقيق: غانم الحمد، ط1، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص 56– 57؛ غانم الحمد، رسم المصحف، ص 283– 293؛ المهدوي، أبو العباس أحمد بن عمار (ت 420هـ)، هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق: محيي الدين رمضان، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 1، 1973، ص 109–110.

9 ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ)، أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1963م، أدب الكاتب، ص 189.

10 الجهني، أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت 442هـ)، كتاب البديع في معرفة ما رسم في مصحف عثمان، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مجلة المورد، المجلد 15، ج 4، 1986 م، ص 289– 290؛ أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت 444هـ)، المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: عزة حسن، وزارة الثقافة والإرشاد في الإقليم السوري، دمشق، 1960م، ص 142– 143.

11 الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن (ت 686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1982م، ج 3، ص 327؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992م، ج 6، ص 325.؛ شيخ زاده، محيي الدين محمد بن مصطفى شيخ زاده (ت 951هـ)، حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، ج 8، ص 537.

12 ابن الدهان، سعيد بن المبارك (ت 569هـ)، باب من الهجاء، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مجلة المورد، المجلد 15، ج 3، 1986، ص 321.

- فَهْمُ العَوامِلِ المُؤَثِّرَةِ في النِّظامِ الإِمْلائِيِّ العَرَبِيِّ يُعينُ في تَدْريسِ الإِمْلاءِ وجَعْلِ الدَّرْسِ الإِمْلائِيِّ أَكْثَرَ إِقْناعًا؛ لأن الحاجَةُ إِلى تَسْهيلِ الإِمْلاءِ العَرَبِيِّ تَسْتَدْعي دِراسَةَ أُصولِهِ ومُحَدِّداتِهِ؛ إِذْ قَدْ يَكونُ التَّسْهيلُ في التَّأْصيلِ؛ فلا يزال الدَّرْسُ الإِمْلائِيُّ بِحاجَةٍ إِلى مَزيدٍ مِنَ الدِّراساتِ الجادَّةِ، وفيهِ مِنَ النِّقاطِ ما يَحْتاجُ إِلى تَجْلِيَةٍ و تَمْحيصٍ.
- يَنْبغي على الأُمَّة أنْ تحرصَ على جَمْع مَخطوطات المصاحف المُبَعْثَرةِ في أنْحاءِ المَعْمورة، وخاصَّة المَخْطوطات الموجودة في الدُّول الغربيَّة، وغيرها من دول العالم، وتجميعها في مكانٍ واحدٍ؛ لإتاحة الفُرْصة أمامَ الباحِثينَ، وفي ذلك تسهيلٌ كَبيرٌ للبَحْثِ العِلْميِّ، وخاصَّةً في زَمانٍ تتوافَرُ فيه وسائلُ إلكترونيَّةٌ مُتَقدِّمةٌ جِدًا، وهو ما يحتاجُ إلى تَخْصيص ميزانيّاتٍ ضَخْمةٍ لا تَتَوافرُ إلا بقرار من الحكومات والمؤسَّسات الدَّوْلية.
- لا يَزالُ البْحثُ في الرَّسْمِ العُثْمانيِّ في بَواكيره مُنْتظِرًا هِممَ الباحِثينَ المُخْلِصينَ، فلا مَجالَ للقول بأنَّه نضج حتى احْترق، كما يُقالُ في عِلْم النَّحْو، أو: ماذا ترَكَ السَّابقُ للاحق. فثمَّةَ الكَثيرُ مِمّا لمْ يبُحَثْ في هذا العِلْم.

الحواشي

1 ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت 833هـ)، النشر في القراءات العشر، قدم له: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج 1، ص 13–14؛ ج 2، ص 95؛ السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد (ت643هـ)، كتاب الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق وتقديم: محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، 2003 م، ص 74 فما فوق.

2 عبد الحي الفرماوي، رسم المصحف ونقطه، مؤسسة الريان، بيروت، 2004م، ص 343– 364.

3 المرجع السابق نفسه، ص 365– 373.

4 الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت 207هـ)، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، ج 1، ص 439؛ غانم قدوري الحمد، رسم المصحف، اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد، 1982م، ص 172، وطبعة أخرى: دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 2004م؛ المرجع السابق نفسه.

5 المرجع السابق نفسه؛ عبد الكريم إبراهيم عوض صالح، المتحف في رسم المصحف، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2006م، ص 68 فصاعدا؛ حفني ناصف، نبذة في تاريخ رسم المصاحف، مجلة المقتطف، ج 83، 1933، ص 206.

المَكتوبةِ على الحجارةِ التي عُثِرَ عليها، وهو كلام مَرجوحٌ؛ لأنَّ الصَّحابة، رِضْوان الله عليهم، عندما كتبوا (رحمة) مرَّةً بالهاء، و(رحمت) مرةً أخرى بالتاء راعوا الوقف والوصل في قراءة القرآن، وليس الأمرُ نتيجةَ الموروثِ النَّبطيَ القديم، الذي نجهلُ كيفيَّةَ نُطْقِه على وجهِ التَّأكيد.

- عَلَيْنا أنْ نُراعِيَ عِنْدَ كِتابَةِ الكَلِماتِ العَرَبِيَّةِ جانِبَ النُّطْق ما اسْتَطَعْنا إلى ذلكَ سَبيلا؛ مستأنسين بالرسم العثماني، فَنَكْتُبَ فَقَطِ الحُروفَ التي تُنْطَقُ في الكَلِمَةِ باسْتِثْناءِ الألفِ الفاصِلَةِ والواوِ في (عَمْرٍو) اللّتين تَتَعاوَرُهُما ظَواهِرُ تاريخِيَّةٌ مَوْروثَةٌ، ولَهْجِيَّةٌ قَديمةٌ بائِدَةٌ ، وبَعْضِ الكَلِماتِ المَوْروثَةِ التي شاعَتْ في الاسْتِعْمالِ قَديمًا عَلى أَلْسِنَةِ النّاسِ؛ فأَصْبَحَتْ رُكامًا لُغَوِيًا جامِدًا؛ إِذْ تَحْوي حُروفًا تُنْطَقُ دونَ أنْ تُكْتَبَ، مِثْلَ: ذلِكَ، وهذا، وطه وغَيْرِها، وهي كَلِماتٌ مَحدودَةٌ مَعْروفةٌ، مَشْهورَةٌ لَدى الشّادينَ مِنَ المُتَعَلِّمينَ بَلْهَ العُلَماءَ المُجيدينَ.

ومِنَ الأمثلةِ الدالَّةِ على الصُّعوبةِ التي لا يَزالُ النّاس يشكتونَ منها (الألفُ) الفاصِلةُ الفارِقةُ، نحو: قالوا، فهنالكَ مَن لا يُحْسِنُ استعمالهَا، فنَجِدُه يُضيفُها إلى (الواو) التي هي عَلامةُ الرَّفْع في جمْعِ المُذكَّرِ السَّالمِ: فيَكْتبُ: مُهَندِسوا المشروع، ومُرْسِلوا الرسالة. والحلُّ المُناسب في رأينا، تخَلُّصًا مِن هذهِ الظَّاهرة، هو التخلُّص من الازْدِواجيَّة في الكتابة، فإمّا أَنْ نُسْقِطَ (الألف) الفارِقةَ مِنْ جَميع المواضعِ، حتىّ مِنَ الأفعال التي تَنْتهي بـــ(واو الجماعة)، أو أنْ نُثْبِتَها في كلِّ المواضع، سَواءً في الأسماء، أو الأفعال، بما يَتوافق معَ الرَّسْم العُثمانيّ؛ مِن أجْلِ التَّسْهيل على النَّاسِ في عصرنا الحالي.

- يجِبُ التَّمسُّكُ برَسْمِ المصحف، كما أوصى العُلَماءُ جيلا بعدَ جيلٍ، إلى يومِ النَّاس هذا، والمحافظة عليه، مِن خلال استمرار البَّحْث والدِّراسة لتاريخ الرَّسْمِ، وأشكاله، ومصادره؛ مِن أجلِ المُحافظةِ على قُدُسيَّةِ نصِّ المصحف الشَّريف، حتى لا يكونَ عُرْضةً للتَّبْديلِ والتَّحْريف، ففي رَسْم المصحف مُراعاةٌ للقِراءات القرآنيَّة، ولأشْكالِ النُّطْق التي لم نَعُدْ نَعْرِفُها. وهنالكَ أسْرارٌ دَفينةٌ خَفِيتْ علينا قدْ عرَفها الصَّحابة، وفي بَقائِها كذلك مَدْعاةٌ للأجْيال القادمةِ لمُداومة النَّظرِ والبحثِ في القرآن الكريم، الذي لا يَبْلى جَديدُه، ولا يَدرُسُ معَ طولِ البحْثِ والتَّنْقيرِ.

على حركةِ الهمزةِ وما قبلَها، مُعْتَبِرينَ أنَّ الكسرةَ هي أقوى الحركاتِ ثمَّ يَليها الضمَّة، فالفتحة فالسُّكون أخيرًا، ففي رأْيهم أنَّ كلمةَ (سُئِلَ) صُوِّرتْ فيها الهمزةُ على (ياءٍ) لأنَّ الكسرةَ أقوى مِن الضَّمَّة، لا كما كُتِبت في رَسْم المصحف على اعْتبارِ ما تؤولُ إليه الهمزةُ في لُغةِ مَن يُسهِّلُها مِن أهلِ الحِجازِ إلى (ياءٍ) خالِصةٍ: سُيِل. وأمّا الهمزةُ في آخِرِ الكلمةِ فقدْ قرَّرتْ كتبُ الإمْلاءِ المُعاصر أنّها تُكتَب وَفْقًا لحركةِ ما قبلَها إذا كانَ ما قبلَها مُتحرِّكًا: نحوَ: يملأ، ويقرأ، أو: شاطئ، أو: لؤلؤ، وليس كما في رَسْمِ المصحف حيثُ تُكتبُ وَفْقَ ما تؤول إليه.[80]

وفي الختامِ، نرى أنّنا نشْطِطُ في القول إذا ما قلَّلنا مِن أهميَّة ما جاء به المحدَثونَ بخصوصِ قواعدِ الهمزة، مُحاولةً منهم لِتَسْهيلِ الأمر على النّاشئة، الذين لا يزالونَ يَشْتكونَ صُعوبةَ الإلمامِ بِقواعدِ الهمزةِ في كِتاباتهم اليوميَّة. ولكنْ لا تزالُ هنالكَ مشاكلُ وعقَباتٌ في كتابةِ الهمزةِ تنْتظرُ مَن يتغلَّبُ عليها، مُسْتأنِسينَ بما وصلَ إليه عُلماءُ رَسْمِ المصحف قديمًا، مُتَّبعينَ لقاعدةٍ جميلةٍ: التسهيل في التأصيل.

الخاتمة:

تَوَصَّلتْ هذهِ الدِّراسةُ في نِهايتِها إلى نَتائجَ وتَوْصِياتٍ، نُفَصِّلُها وَفْقَ ما يَأْتي:

- يمثّلُ رسْم المُصحفِ في جَوانبَ كَثيرةٍ الإملاءَ العربيّ في فترةِ نُزولِ القُرآنِ، ولكنَّ قواعدَ الرَّسم العُثمانيّ خرجتْ عن ذلكَ الإملاءِ في قضايا عديدةٍ، كما وردتْ في البحثِ، روعِيَ فيها مَنعُ اللّبْس مرَّة، والنُّطقُ تارة أخرى، أو أُمورٌ وأسرارٌ لا تزالُ مَجْهولة. فلوْ كانَ صَحيحًا ما يقولُه بعضُ الباحِثينَ، مِنْ أنَّ كِتابةَ المُصْحفِ لم تخرجْ عنْ قَواعدِ الكتابةِ في صَدرِ الإسلامِ، لمَا وجدْنا هذا الاخْتِلافَ والتَّبايُنَ في كِتابةِ الألفِ الفاصِلةِ وهاءِ التّأنيثِ، ومسألةِ الفصْلِ والوصْلِ في الكلمات، فالرّاجحُ أنَّ للقرآنِ الكريمِ طريقةً خاصّةً به في الرَّسْم، واعْتباراتٍ كَشفَ العلماءُ عنْ أسْرارِها وفسَّروها، ولكنَّهم وَقَفوا عنْدَ العديد منها، دونَ القطْعِ في أَسْبابها، تارِكينَ أمْرَها إلى الله عزَّ وجَلَّ.

ومِنَ الأمْثلةِ التي نسوقُها لِندحضَ حُجَّة مَنْ يرى أنَّ رسْم المُصحف إنْ هو إلا صورةٌ طِبقُ الأصل لحالة الكتابة العربيَّة عَشِيَّةَ ظُهورِ الإسلام، حيثُ شَمِلتِ الكتابةُ العربيَّةُ المَوْروثَ النَّبطيّ القديم، مِثْل كتابة هاء التأنيث، نحو: رحمت/ رحمة، فالذي يقولُه بعضُ الباحثين بأنَّ كتابتها في المصحف تُشْبِه ما جاءَ في النُّقوشِ

رَسْمُ هاءِ التَّأْنيثِ يُثْبِتُ لَنا أَنَّ الكِتابَةَ في عَهْدِ كتّابِ المُصْحَفِ كانَتْ أَكْثَرَ اسْتِجابَةً لِتَسْجيلِ الواقِعِ الصَّوْتِيِّ المَسْموعِ لأَهْلِ اللّغَةِ؛[77] وهو ما يُفَسِّرُ لَنا هذا الازْدِواجَ في كِتابةِ هاءِ التَّأْنيثِ مَرَّةً بِالهاءِ وأُخْرى بِالتّاءِ. في حينَ تَطَوَّرَتِ الكِتابةُ الإمْلائِيَّةُ الاصْطِلاحِيَّةُ لِتَسْتَقِرَّ عَلى صورةٍ واحِدَةٍ لِهاءِ التَّأْنيثِ، مُعْتَمِدينَ على المَبْدَأِ الذي ارْتَضَوْهُ مُنْطَلَقًا مُؤَسِّسًا لِلْكِتابةِ: وهُوْ اعْتِمادُ الوَقْفِ على الكَلِمةِ في كِتابَتِها؛ ولَمّا كانَتِ العَرَبُ تَقِفُ على (سَنَة) بِالهاءِ، وعلى (بِنْت) بالتّاءِ كَتبوا الأولى هاءً والثّانِيةَ تاءً، وهذا ما حَصَلَ في المَرْحلةِ الثّالِثَةِ مِنْ مَراحلِ تَطوُّرِ الخَطِّ العَرَبيِّ، وهِيَ مَرْحلةُ التَّقْعيدِ، كَما يَرى غانم الحمد.[78]

خامسا: رسم الهمزة وسط الكلمة وآخرها:

تُرسمُ الهمزة في القُرآنِ الكريمِ في وسَطِ الكلمةِ وآخِرِها على اعْتِبارِ ما تؤولُ إليهِ عندَ تَسْهيلِها، وذلكَ مُراعاةً للنُّطْقِ وَفْقًا لِلَّهْجةِ الحِجازِ التي كُتِب بها المصحفُ الشَّريفُ.

فعندما تُصوَّر الهمزةُ في وسَطِ الكَلمَةِ (ألِفًا) هكذا: الرَّأس؛ كَأْس؛ يَأْتِ؛ تَأْسَ، فلأَنَّها وَفقًا لِلُغةِ الحِجازِ الذينَ يُسهِّلونَ الهمزةَ تُلفظُ: الرَّاس؛ كاسُ؛ ياتِ، تاسَ، أيْ تتَحوَّل إلى فتحةٍ طويلةٍ. وعندما تُرسمُ الهمزةُ على (الواو) فهو باعْتبار ما تؤولُ إليه في لُغةِ مَن يُسهِّل الهمزةَ، أيْ تُصْبحُ الهمزةُ المَضْمومةُ (واوًا) مَدِّيَّةً، أو ما يُسمّى في عِلمِ الأصوات ضمّةً طويلةً، نحوَ: يُؤمنُ؛ المؤمِنونَ: فتصبحانِ بعد تسْهيلِهما: يومِنُ، المومِنونَ. وفي حالاتٍ أُخْرى تَتَحوَّل الهمزةُ المضْمومةُ إلى (واوٍ) ليِّنةٍ (نصف صائتة)، نحوَ: ماؤُها؛ جَزاؤُهم، فتُصبحانِ: ماوُها، جَزاوُهم.

وكذلكَ الأمرُ فيما يتعلَّقُ بالهمزةِ المكسورةِ، فهيَ تُرْسمُ على (ياءٍ) على اعْتِبارِ ما تَؤولُ إليهِ على لُغةِ منْ يُسهِّلُ الهمزةَ مِن أهلِ الحجازِ، فتتحوَّل إلى كسرةٍ طويلةٍ (واو مدِّيَّة)، نحوَ: جئت؛ بئس، فتصبحان: جيتَ، بيسَ. وفي حالاتٍ أُخْرى تتحوَّل الهمْزةُ المكسورةُ إلى (ياءٍ ليِّنةٍ) نصفِ صائتةٍ (انزلاقية)، نحوَ: سُئِل؛ طائفتانِ، فتُصْبِحانِ: سُيل، طايفتان.[79]

وفي يومِنا هذا، نجدُ أنَّ قوانينَ الإملاءِ المُعاصر فيما يتعلَّق بقواعدِ كتابةِ الهمزةِ في وسَطِ الكلمةِ وآخِرِها تختلِفُ كثيرًا عمّا قرَّرتْه كتُبُ الرَّسْمِ العُثمانيّ قديمًا، فكُتُبُ الإملاءِ المُعاصر تَعتمدُ في كتابةِ الهمزةِ وسِط الكلمةِ على الحركة الأَقْوى، مُعتَمِدينَ

كُتِبَتْ في مَنارات الطَّريق بَيْنَ فِلَسْطينَ ودِمَشْقَ في مَنْطِقَةِ الجَوْلانِ المَكْتوبَةِ سَنَةَ 52هـ .[72]

ولَعلَّ هذِهِ المَرْحلةَ كانَتْ مَرْحَلةً وُسْطى بَيْنَ البَقاءِ على الصّورَةِ القَديمَةِ في الكِتابةِ المُتأثِّرَةِ بالخَط النَّبَطِيِّ المَوْروثِ، والصّورَةِ الجَديدةِ المُرْتَبِطةِ بالنُّطْق وحاجاتِ العَصْرِ، واسْتِخْدامِ الكِتابةِ العَرَبيَّةِ على نِطاقٍ واسعٍ، مُتأثِّرَة بقَواعِدِ النَّحْوِ والصَّرْفِ التي أَخَذَتْ تَنْضُجُ وتَسْتَوي على سوقِها.

ويُؤَيِّدُ هذا التَّوَجُّهَ في التَّفْسير أنَّ بعضَ النُّقوشِ العَرَبيَّةِ القَديمةِ تُكْتبُ بالتّاءِ المَبْسوطَةِ؛ كَما في نَقْشِ النّمارَةِ (328م)، ونَقْشِ جَبَلِ أُسَيْسٍ (528م) حَيْثُ كُتِبَتْ (سَنَت ، مَدينَت).[73] غيرَ أنَّ القارِئَ في تِلكَ النُّقوشِ يَجِدُ بَعْضَها زاوَجَ بَيْنَ الرَّمْزيْنِ؛ فَفي نَقْشِ جَبَلِ أُسَيْسٍ كُتِبَتْ: مُغيرَة ومَسْلَمَة بالهاءِ، وكُتِبَتْ سَنَت بالتاءِ.

ومَعَ أنَّ صَلاح الدين المنجّد يَزْعُمُ أنَّ هاءَ التَّأْنيثِ في الكِتابةِ النَّبَطِيَّةِ تاءٌ لا هاءٌ، كَما في: أَمَتْ، وحَبَّتْ بَدَلا مِنْ أَمَة و حَبَّة،[74] فإنَّ رمزي بعلبكي يَرى رَأْيًا مُناقِضًا حَيْثُ يَرى أنَّ هاءَ التَّأْنيثِ في النَّبَطِيَّةِ والآراميَّةِ كُتِبَتْ تاءً وكُتِبَتْ هاءً، وذلكَ وَفْقَ نِظامٍ يَعْتَمِدُ على الإضافةِ والتَّعْريفِ والتَّنْكيرِ، ثُمَّ يَخْلُصُ إلى القَوْلِ: "وعلى هذا تَكونُ الأمْثلةُ التي جاءَ بِها (خليل نامي) أيْ: سَنَت وحارِثَت، والأمثِلةُ التي جاءَ بِها المنجد، أيْ: أَمَت وحَبَّت أمْثلةً على اسْتِعْمالِ التّاءِ في المَواضِعِ التي ذكَرْناها، أيْ في حالِ الإضافةِ وفي بعْضِ أسْماءِ الأعْلامِ؛ ولا يُمكِنُ بِحالٍ أنْ تُسْتَخْدمَ هذِهِ الأمْثلةُ دَليلا على عدَمِ كِتابةِ تاءِ التَّأْنيثِ بِالهاءِ؛ لأَنَّ لِلْهاءِ مَواضِعَ أُخَرَ تُسْتَعْملُ فيها".[75]

ومِنْ خِلالِ ما سَبقَ يُمكنُ القَوْلُ بِأَنَّ كِتابةَ المُصْحفِ كانَتْ مُتَناغِمة مَعَ الكِتابةِ المُنْتشِرَةِ في ذلكَ العَصْرِ؛ ولكنَّ كُتّابَ المُصْحَفِ لم يَلْتزموا في الرسم العثماني بالإملاء القياسي تماما؛ لِيُوافِقَ ما تَواتَرَ مِنْ قِراءاتِ القُرْآنِ الكَريمِ، حَيْثُ كَتَبوا (رَحْمَت) في المَواقِعِ التي وَرَدَهُمْ أنَّ رَسول الله ــ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ــ أَجازَ الوَقْفَ عَلَيْها بِالتّاءِ كَما في سورَةِ الأعْرافِ (الآية 56)، وكَتَبوها (رَحْمَة) في المَواقِعِ التي لمْ يَتَوافرْ لَدَيْهِمْ قِراءَةٌ مُتَواتِرَةٌ بِالوَقْفِ عليْها تاءً؛ فأَخَذوا بِاللغةِ الفاشِيَةِ بيْنَ العَربِ وكَتَبوها هاءً: (رَحْمة) كَما في آل عِمْرانَ (الآية: 67)، فَفي قِراءةِ حَفْصٍ عَنْ عاصِمٍ يَقِفُ القارِئُ عَلى (رَحْمتْ) بِالتّاءِ، وعَلى (رَحْمَة) بِالهاءِ في كُلِّ مَوْضِعٍ، الْتِزامًا لِرَسْمِ المُصْحفِ.[76]

العديد من القضايا؛ فالْتَفَتَ بَعْضُهُمْ إلى مَعانٍ مُعْجِبَةٍ في مَواضِعَ مِنْهُ، وأعْلَنوا عَجْزَهُمْ أَمامَ مَواضِعَ أُخَرَ؛ فَوَكَلوا أَسْرارَها إلى رَبِّ العِزَّةِ آخِذِينَ بِقَوْلِهِ: (آمَنّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) (آل عمران:7).

ولَعَلَّ ابنَ قُتَيْبَةَ قدْ أَشارَ ــ وإنْ عَرَضًا ــ إلى سِرِّ كِتابَةِ (رَحْمَت و رَحْمَة) حينَ قالَ: "فأمّا مَنْ كَتَبَها تاءً فَعلى الإدْراجِ، وأمّا مَنْ كَتَبَها هاءً فَعلى الوَقْفِ".[64] وقدْ يَذْهبُ الخاطِرُ في تَفْسيرِ ذلكَ إلى أنَّ رَسْمَ المُصْحَفِ راعى لَهْجَةَ طَيِّئَ التي كانتْ تَنطق تِلكم الكَلِماتِ بالتّاءِ وَقْفًا ووَصْلا،[65] إذْ حُكِيَ عَنْهُمْ "يا أَهْلَ سورَتِ البَقَرَتْ، فَقالَ لَهُ: واللهِ ما أَحْفَظُ مِنْها آيَتْ. وقالَ بعْضُ شُعَرائِهِمْ:[66]

وَاللهُ أَنْجــاكَ بِكَــفَّيْ مُسْــلِمَتْ مِنْ بَعْدِما وَ بَعْدِما وبَعْدِمَتْ

كانَتْ نُفوسُ القَوْمِ عِنْدَ الغَلْصَمَتْ وَكادَتِ الحُرَّةُ أَنْ تُدْعى أَمَتْ"

والعَجيبُ في الأمْرِ أنَّ طَيِّئَ كانتْ تَقِفُ عَلى تاءِ جَمْعِ المُؤَنَّثِ السّالمِ بِالهاءِ فَيَقولونَ: سَنَواهْ (يَقِفونَ عَلَيْها بِالهاء)، ويَقولونَ: سَنَتْ (يَقِفونَ عَلَيْها بِالتّاءِ)، وَهَيْهاه بَدَلًا مِنْ (هَيْهاتْ)، وأولاهْ بَدَلا مِنْ (أُولاتْ)، والبَناهْ بَدَلا مِنَ (البَناتْ)وغَيرِ ذلك.[67]

ولوْ كانَ هذا التَّفْسيرُ المُعْتَمِدُ عَلى لَهْجَةِ طَيِّئَ صَحيحًا بِالمُطْلَقِ لأَراحَ الدّارِسينَ؛ إذْ إنَّ كُتّابَ المُصْحَفِ أَخَذوا بِلُغَةِ قُرَيْشٍ كَما ذَكَرَتْ كُتُبُ السَّلَفِ، فَقَدْ جاءَ في "المُزْهِرِ": " لَمْ تَخْتَلِفْ لُغَةُ قُرَيْشٍ والأَنْصارِ في شَيْءٍ مِنَ القُرْآنِ إلا في التّابوتِ، فَلغَة قرَيْشٍ بِالتّاءِ، ولغة الأَنْصارِ بِالهاءِ".[68]

والراجح أَنَّ رَسْمَ هاءِ التَّأْنيثِ لَمْ يَكُنْ قدِ اسْتَقَرَّ عَلى صورَةٍ واحِدَةٍ في المَرْحَلَةِ الأولى من تاريخ الإملاء العربي، إذْ كُتِبتْ هاءً مَرّةً وتاءً مَرّةً أُخْرى؛ ومِثْلُ هذا نَجِدُهُ في النُّقوشِ المَكْتوبةِ في تِلكَ المَرْحَلَةِ المُمْتَدَّةِ مِنْ ظُهورِ الإسْلامِ إلى مُنْتَصَفِ القَرْنِ الثّاني الهِجْريِّ أَوْ بَعْدَهُ بِقَليلٍ.[69]

فَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمةُ (سَنَتْ) بِالتّاءِ المَبْسوطَةِ في نَقْشِ القاهِرَةِ المَكْتوبِ سَنَةَ 31هــ،[70] كَما ظَهَرَتِ الصّورَتانِ (ت ، ــة) في نَقْشٍ واحِدٍ، وهُوَ النَّقْشُ الذي ما يَزالُ ماثِلا على قُبَّةِ الصَّخْرةِ المُشَرَّفَةِ في القُدْسِ الشَّريفِ (سَنَة، رَحْمَتْ)، وقدْ كُتِبَتْ كَلِمَةُ (سَنَة) بِالهاءِ في مَناراتِ الطَّريق (أوْحِجارَةِ الميلِ) في العَهْدِ الأُمَوِيِّ،[71] وكَذلكَ

يَعيشَ.[60] ولَمْ يَزَلِ الأَمْرُ على هذهِ التَّسْمِيَةِ عِنْدَهُمْ حَتّى عَهْدٍ قَريبٍ؛ يَقولُ الصَّبّانُ نَقْلًا عَنِ الشَّيْخِ خالِدٍ الأَزْهَرِيِّ (ت905هـ): "الفَرْقُ بَيْنَ تاءِ التَّأْنيثِ وهاءِ التَّأْنيثِ أَنَّ تاءَ التَّأْنيثِ لا تُبْدَلُ في الوَقْفِ هاءً، وتكْتَبُ مَجْرورَةً. وهاءُ التَّأْنيثِ يوقَفُ عَلَيْها بِالهاءِ وتُكْتَبُ مَرْبوطَةً"،[61] وَجاءَ في "المَطالِعِ النَّصْرِيَّةِ": "ففي جَميعِ ذلِكَ تُسَمّى هاءَ التَّأْنيثِ، وتُكْتَبُ بِالهاءِ نَظَرًا لِلْوُقوفِ عَلَيْها بِهاءٍ عِنْدَ جَميعِ العَرَبِ".[62]

وتُكْتَبُ هاءُ التَّأنيثِ في: سَنَة ورَحْمَة وشَجَرَة ونَظائِرِها هاءً مَعَ نُقْطَتَيْنِ، هذا ما اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الإمْلاءُ العَرَبِيُّ الاصْطِلاحِيُّ، وحُجَّةُ العُلَماءِ في ذلكَ أَنَّ النِّظامَ الإمْلائِيَّ لِلْكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ قائِمٌ عَلى الوَقْفِ، وَمَعْلومٌ أَنَّ العَرَبَ تَقِفُ عَلى تِلْكُمُ الأَسْماءِ بِالهاءِ، فإذا وَصَلوا نَطَقوها تاءً؛ ومِنْ أَجْلِ ذلكَ فَإِنَّها تُكْتَبُ تاءً إذا اتَّصَلَ بِها ضَميرٌ نَحْو: شَجَرَتُكَ، رَحْمَتُه.

غَيرَ أَنَّ قارِئَ القُرْآنِ الكريمِ يَجِدُ هذهِ القاعِدَةَ مَخْرومَةً؛ حَيْثُ كُتِبَتْ "رَحْمَةَ اللهِ" هاءً في الآيَةِ الثّالِثَةِ والخَمْسينَ مِنْ سورَةِ الزُّمَرِ، وَكُتِبَتْ تاءً في الآيَةِ السّادِسَةِ والخَمْسينَ مِنْ سورَةِ الأَعْرافِ (رَحْمت اللهِ). يَقولُ ابنُ قُتَيْبَةَ: "هاءُ التَّأْنيثِ تُكْتَبُ هاءً أَبَدًا ... وقَدْ كَتَبوها تاءً في مَواضِعَ مِنْ القُرْآنِ، وهاءً في مَواضِعَ، فَأَمّا مَنْ كَتَبَها تاءً فَعَلى الإدْراجِ، وأَمّا مَنْ كَتَبَها هاءً فَعَلى الوَقْفِ... وأَعْجَبُ إِلَيَّ أَنْ تَكْتُبَهُ كُلَّهُ بِالهاءِ عَلى الوُقوفِ عَلَيْهِ..."،[63] ومِنَ المَعْلومِ أَنَّ ابنَ قُتَيْبَةَ مِنْ وَفَياتِ القَرْنِ الثّالِثِ الهِجْرِيِّ (ت 276هـ) مِمّا يَعْني أَنَّ كِتابَةَ هاءِ التَّأْنيثِ قَدْ اسْتَقَرَّتْ عَلى صورَتِها المُعاصِرَةِ في ذلكَ العَصْرِ، إِذْ جَعَلوا كِتابَةَ الكَلِمَةِ تَعْتَمِدُ عَلى الوَقْفِ، لا عَلى الوَصْلِ. غَيرَ أَنَّهُمْ فَرَّقوا بَيْنَ هاءِ التَّأْنيثِ وغَيْرِها بِوَضْعِ نُقْطَتَيْنِ عَلَيْها؛ إشارَةً إلى أَنَّها تُقْرَأُ تاءً عِنْدَ الوَصْلِ.

وهذا النَّهْجُ في الإمْلاءِ يَدُلُّ عَلى دِقَّةٍ مُبْتَكَريهِ إِذْ وَضَعوا لِهذِهِ الهاءِ صورَةً مُزْدَوِجَةً(ـــة) تَجْمَعُ بَيْنَ صورَةِ الهاءِ التي تُنْطَقُ هاءً في الوَصْلِ والوَقْفِ نَحْوُ: وَجْه، وصورَةُ التّاءِ التي تُنْطَقُ تاءً في الوَصْلِ والوَقْفِ نَحْو: بِنْت، وَكَأَنَّهُمْ بِهذا الرَّمْزِ المُزْدَوِجِ يُساعِدونَ القارِئَ لِيَقولوا لَهُ: إذا وَقَفْتَ على كَلِمَةٍ (سنة) فاقْرَأْ هاءً، وإذا وَصَلْتَها بِما بَعْدَها فاقْرَأْ تاءً.

ومَعْلومٌ أَنَّ رَسْمَ المُصْحَفِ يُخالِفُ الرَّسْمَ الإمْلائِيَّ الاصْطِلاحِيَّ في مواضع عديدة؛ ولكِنَّ العُلَماءَ ناقَشوا تِلْكَ المَواطِنَ التي بايَنَ فيها رَسْمُ المُصْحَفِ الرَّسْمَ القياسي في

وكذلكَ الأمرُ فيما يتعلقُ بـــ (يبصط) الآية: 245 في سورة البقرة، فقد رُسِمت بـــ(الصّاد) موافقةً لإحدى اللَّهَجات الفصيحة التي تَقلبُ (السين) (صادًا) تحتَ تأثيرِ مُجاورة (الطَاء) المُطبَقة، وقد قرأ بعض القُرَّاء بالصّاد، وقرأ آخرون بالسّين، كما ذكر أبو حيان.[54] وللسّخاويّ عبارةٌ يُجلّي فيها المسألة بعبارةٍ مُختصرةٍ بليغة: "وإنَّما رُسِم هنا [البقرة 245] بالصّاد، وفي غيرها [الرعد 26] بالسّين، جمعًا بين اللغتين، وتَنْبيهًا عليهما".[55]

والذي يَراهُ الأستاذ غانم الحمد أنَّ كُتّاب الرَّسْم العثمانيّ، في رَسْمهم بعضَ الكلمات التي أصلُها (سين) بالصّاد، اختاروا رَسْمها وفقًا لما آلتْ إليه تلكم الكلماتُ، نتيجة لمجاورةِ (السّين) صوتَ (الطّاء) المُطبَق، ففي هذهِ الحالةِ رجَّحَ كتَّابُ الرَّسْمِ العُثْمانيِّ رَسْمَها وَفْقًا للنُّطْق لا للأصْلِ، وفي حالاتٍ أُخْرى كتبوها بالسّينِ وَفْقًا للأَصْلِ.[56] وهو رأيٌ مَرْجوحٌ؛ لأنَّ رَسْمَ المُصْحفِ وافقَ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ، ولمْ يكُنْ مَحْضَ اخْتِيارٍ منَ الكَتَبَةِ.

رابعا: رسم هاء التأنيث:

رسمت هاء التأنيث في مواقع عديدة من المصحف بالتاء، نحو: رحمت، ونعمت، كما في الآية: (أولئك يرجون رحمت الله) (البقرة 218)، والآية: (إن رحمت الله قريب) (الأعراف 56)، ونجد أن الكلمة نفسها رسمت مرة بالتاء وفي موقع آخر بالهاء، وهي أمثلة كثيرة جدا ليس في هذا البحث متسع لإيرادها كاملة، وإنما الهدف هو دراسة هذه الظاهرة في رسم المصحف.

ويفسر علماء الرسم والعربية هذه الظاهرة بأنها رسمت بالتاء على اعتبار الوصل، فهي تلفظ في وصل الكلام ودرجه (تاء)؛ لذلك رسمت بالتاء، وأوضح السخاوي أن (التاء) هي الأصل، إذ إن حركات الإعراب تظهر عليها، بينما الهاء تأتي في الوقف بدلا منها، وقد ذكر دليلا آخر على أصالة (التاء)، مسندا هذا القول إلى الفراء، وهو أننا نقول: قامتْ و: قعدتْ، فنقف على التاء؛ مما يدل على أنها الأصل.[57] وقد اسْتَقرَّ الرَّأْيُ في النِّظامِ الإمْلائِيِّ المُعاصِرِ عَلى كِتابَةِ التّاءِ في آخِرِ الكَلِمَةِ هاءً، كَما في "سَنَة" و "مُعَلِّمَة" و"فاطِمَة". وإِنْ كانَتْ بَعْضُ المَصادِرِ تُسَمّيها تاءَ التَّأْنيثِ المَرْبوطَةَ.[58] أَمّا المُتَقَدِّمونَ مِنْ عُلَماءِ العَرَبِيَّةِ فَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمّيها هاءَ التَّأْنيثِ؛ كَما فَعَلَ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَغَيْرُهُ.[59] ومِنْهُم مَنْ يُسَمّيها تاءَ التَّأْنيثِ كَما فَعَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ وابْنُ

المؤمنين، لِيُصبح المقطع متوسِّطًا مُغلَقًا: ج ــ لْ = ص ح ص، وهو ما تسمح به العربية.[51]

ولكنَّ هذا لا يطَّرد في رَسْم المصحف، فقد ثبتت (الياء) المدِّيَّة رَسْمًا في مواقعَ أُخَرَ، ولم يُراعَ لفظها موصولةً، نحو:(يُؤتي الحكمةَ) (البقرة 269)، الأمر الذي يُناقض مسألةَ الكراهةِ المقطعيَّة، فما السِّرُّ وراء مُراعاةِ النُّطق في أمثلةٍ محدودةٍ في رَسْم المصحف، فجاءتْ محذوفةَ الياء، ولم يُراعَ ذلك في سائر الأمثلة؟

وقبل الإجابة عن هذا السُّؤال نوردُ ما قاله الأستاذ غانم الحمد في هذه المسألة، فهو يرى أنَّ المشكلة تكمن في أنَّ "الكاتب يظلُّ متردِّدًا بين الالتزام بأصل الكلمة، وهي منعزلةٌ عن السِّياق، وبين الاستجابة لواقع نُطقها وهي في درجِ الكلام المُتَّصل". والحقُّ أنَّ المسألة ليس كما قرَّرها، بل هي متعالقةٌ أشدَّ التعالق بمواقع الوقف في القرآن الكريم، فقد ذكر ابنُ الجَزَريِّ أنَّ بعض القرّاء يقفون على تلكم الكلمات بغير (ياء)، لذلك جاء رَسْم المصحف موافقًا لتلك القِراءات، فليس الأمر تعبيرًا عن رغبةٍ شخصيَّةٍ، أو تردُّدٍ مِن قِبلِ مَنْ كتبوا المصحف.[52]

ثالثا: رسم الصاد والسين:

لقدْ روعِي النُّطق في بعض الكلماتِ في رَسْم المصحف، فنُطقت بـــ(الصاد) مع أنَّ أصلها (سين)، وهو مِمَّا يَدْخل في باب المُماثلة، نحو:(الصِّراط) (الفاتحة 6)؛ (يَبْصط) (البقرة 245)؛ (بَصْطة) (الأعراف 69)؛ (المُصَيْطر) (الغاشية 2)؛ (المصيطرون) (الطور 37).

أوضح أبو حيانَ في تفسيره أنَّ أصل (صراط) (سراط) بالسِّين، وقد أُبْدِلت السِّين (صادًا)، تحت تأثير المُماثلة، فقد تحولَّت (السِّين) إلى (صاد) لمجاورتها صوتَ (الطّاء) المفَخَّم تفخيمًا كامِلا؛ فحدَثتْ مُماثلةٌ رَجْعِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ؛ تخفيفًا على النّاطقين، وهو ما فسَّره السَّخاويّ. ولكنَّ رَسْم المُصحف لمْ يأتِ استجابةً لهذه الظّاهرة، بل جاء يمثِّل قراءة جُمْهور القُرّاء، الذين قرؤوا (الصّراط) بالصاد، وقد قرأها رُوَيْس وقُنْبل بـــ(السين = سراط). وقد بيَّن أبو حيانَ أنَّ اللغةَ الفُصحى (لغة قريش) هي التي تحوِّل (السّين) (صادًا).[53]

الثّالث: المُلاحظ في الأمثلة الثّلاثة التي حُذفت منها (الألف) في (أيه) أنّها جاءت وسَط الكلام، بينما الغالبيَّة السّاحقة للأمثلة الواردة في القرآن الكريم جاءت (أيها) في مطلع الكلام.[46]

2. حذف الواو:

تُحذف (الواو) المدّية في رَسْم المصحف، أو تُقصَّر إلى ضمَّةٍ قصيرةٍ مُراعاةً لنطقها موصولةً نحو: (ويَدْعُ الإنْسانُ بالشرِّ) (الإسراء 11)؛ و:(سَنَدْعُ الزَّبانِية) (العلق 18)، والسَّبب في ذلك كما يَرى بعض المُعاصرين هو التَّخلُّص مِن المقطع المديد المغلق النّاتج عن التقاء السَّاكنين وفقَ ما بينّا في حذف الألف؛ لذلك تُقصَّر الواو المدِّيَّة تخفيفًا، لِيتحوّلَ المقطع إلى متوسِّطٍ مُغلقٍ، وهو ما يشيع في العربيَّة.[47]

والحقُّ أنَّه ليس كما قدَّره بعضُ الباحثين المعاصرين، ولو كان صحيحًا لَأُطرتِ القاعدة وروعِيتْ في رَسم المصحف، فما بالها روعِيَتْ في كلماتٍ معدودةٍ ولم تُراع في سائرها. وقد أورد أبو عمرٍو الدّاني هذه الأمثلة تحتَ باب "ما حُذِف منه الواو اكتفاءً بالضمَّة منها، أو لمعنًى غيرِه"، وأمّا السَّخاويّ فقرَّر أنَّ رَسْم المصحف جاء مُوافقًا للَّفظ، أي في حالة الوصل.[48]

ويظهر أنَّ مفتاح الإجابة يكمن في مسألة الوقف، فقد قرَّر ابن الجَزَريّ أنّنا نقف على الكلمة وفقًا لرَسْمها في المصحف.[49]

3. حذف الياء:

وهو بابٌ كثيرُ الفروع في رَسم المصحف، فهنالك كلماتٌ حُذِفت منها الياء لمشاكلة رؤوس الآيِ، ومنها ما حُذِف اكتفاءً بالكسرة نيابة عنِ الياء المدِّيَّة، ومنها ما حُذِف في المنادى، ومنها ما حُذِف من الأسماء المنقوصة، وليس في هذا البحث مُتَّسعٌ لبسط حذف الياءات في رَسم المصحف، وإنَّما سنكتفي ببعض النَّماذج نحو: (سَوْفَ يَأْتِ الله) (النساء 146)، و: (نُنْجِ المؤمنين) (يونس 103).[50]

ويرى بعض الباحثينَ، كما في حذفِ الألف والواو، أنَّ الياء المدِّيَّة حُذِفت، أو قُصِّرت إلى كسرةٍ، لكراهةِ مَقْطعيَّةٍ، أي من أجل التخلُّص من المقطع المديد المغلق، الناتج عنِ التقاء السّاكنين، الياء المدّيَّة واللام في: ننجي المؤمنين، فاضْطُرَّ الكَتَبة الذين رَسموا المصحف، وفقًا لهذا الرَّأي، إلى تقصير (الياء المدِّيَّة): ننجِ

موقوفًا عليها؛ لذلك كتبت (الهمزة) على صورة (الألف) باعتبار ما تؤول إليه في حال تخفيفها: نبا، أي تصبح فتحةً طويلةً. وأمَا (الياء) الزّائدة فهي لتمثيل حال النُّطق بالكلمة موصولةً، فتُصبح الهمزة ياءً خالصةً: من نبيِ.[42]

ثانيا: حذف الألف والواو والياء:

وتتجلّى مسألةُ مُراعاة النُّطق في رَسْم المصحف من خلال حذف الحركات الطويلة: الألف والواو والياء، أو تقصيرها وفقًا لعِلم الأصوات المعاصر إلى حركات قصيرة.

1. حذف الألف:

لقد روعِي أحيانا في رَسْم المصحف لفظ الكلمة موصولةً؛ ممَّا أدّى إلى حذفها أو تقصيرها، مع أنَّ الإملاء العربي يَرْسم الكلمة مبدوءًا بها، وموقوفا عليها في آنٍ واحدٍ. ويظهر ذلك جليًّا في الآية: (أيهَ المؤمنون) (النور 31)، فقد حذِفت (الألف) وعُوِّض عنها بفتحةٍ قصيرةٍ على (الهاء).

والتَّفسير الصَّوتي الذي يُقدِّمه بعض الباحثينَ المُعاصرينَ أنَّ هذا جاء استجابةً لحاجةِ اللفظ، مِنْ أجل التَّخفيف، إذْ ينشأُ عنِ التقاء السّاكنين: الألف في (أيّها) واللام الساكنة في (المؤمنون) مقطعٌ مديدٌ مُغلقٌ، وهو ما لا تسمحُ به العربيَّة في هذا الموقع؛ لذلك يُتخلَّص من ذلك بتقصير الفتحة الطَّويلة (الألف) إلى فتحةٍ قصيرةٍ؛ أ ـــُ ي + يـــ ـــُ + هـــ ـــَ ـــَ لْ ، المقطع الأخير: ص ح ح ص مِن النَّوع المديدِ المُغلق الممنوع في هذا الموضع، فعندما نُقصِّره يصبح: هـــ ـــَ لْ = ص ح ص، وهو مقطعٌ شائعٌ جدًا في اللغة العربيّة.[43]

والسّؤال الذي يقوم في الذِّهن: لِمَ روعِيَ هذا الأمرُ في ثلاثة مواقعَ فقط في المصحف الشَّريف، ولمْ يُراعَ في سائر المواضع؟

والصَّحيح أنَّ الأمر ليس على ما قدَّره الأستاذ غانم الحمد للأسباب الآتية:

الأوَّل: قرأ ابن عامر، وهو أحد القرَّاء السَّبعة، بضمِّ (الهاء) مِن (أيُّهُ)، وهو ما أدّى إلى حذف (الألف)؛ لذلك جاء رَسْم المصحف موافِقًا لإحدى القراءات السَّبع.[44]

الثّاني: وقَف أئمة القرّاء على (أيُّه)، باستثناء أبي عمرِو بنِ العلاء وَ الكسائيّ، بغير (ألف)، مِمّا يدلّ على أنَّ رَسم المصحف راعى هذا الأمر.[45]

وما يَعترِضُ ما قاله الأستاذ غانم الحمد أنَّ ما أسماه ازدِواجيَّة الكتابة في رَسْم (سَأُوريكم) لم تُطبَّق في كلماتٍ مُشابهةٍ في القرآن الكريم، فلِمَ لَمْ يثبت كُتّاب المصحف (الواو) بعد الهمزة المضمومة في (سأُلقي)؟ وذلك في الآية الكريمة: (سَأُلْقي في قُلوبِ الذين كَفروا الرُّعْب) (الأنفال 12)، مع أنَّها تُشبِه تمامًا حالة (سَأُوريكم)، وهو ما يُثبتُ أنَّ التَّفسيراتِ الكثيرةَ التي يُقدِّمها علماء الرَّسم قديمًا وحديثًا لم تكشف بعد الحُجُب عن أسرارِ كتابة بعض الكلمات في المصحف الشريف، بما يُغاير أضْرابها في مواقعَ أُخَرَ.

وتُزاد (الواو) وسَط الكلمة مُراعاةً للنُّطق في إشباع الحركة القصيرة (الضمّة)، وذلك بتحويلها إلى ضمَّة طويلةٍ (الواو المدِّيَّة)، وذلك في: (أَنُلْزِمُكُموها) (الأعراف 43)، و: (أورِثْتُموها) (الزخرف 72).[39]

3. زيادة الياء:

أ. زيادة الياء في وسط الكلمة:

وتُزادُ (الياء) في وسَط الكلمة مُراعاةً للنُّطق، نحو: (أَفَإِين) (آل عمران 144)، و: (مَلإِيه) (الأعراف 103)، ونحو: (بأَيْيد) (الذاريات 47)، و: (بأَيِّيكم) (القلم 6) وهنالك أسبابٌ عديدةٌ لزيادةِ (الياء) وفقًا لعلماء الرَّسم، أظهرُها وأقربها إلى الصَّواب أنَّها زيدت مُراعاةً لنطق الكسرة على الهمزة التي سبقت (الياء) في (أفإين) وأضرابها، والرأي الثّاني، الذي رجّحه الأستاذ غانم الحمد، أنَّ (الياء) ليست زائدةً، وإنَّما هي صورةُ الهمزة المكسورة قبلَها في حال التَّسهيل، فتصبح: أفين، وأما (الهمزة) المكسورة التي صورتها الألف فهي على لُغة مَنْ يُحقِّق، فتصبح: أفإن. وفي كلتا الحالتين فقد روعِيَ في الرَّسْم نطق الهمزة.[40]

وكذلك الأمر فيما يتعلَّق بـــ(بأييد) و(بأييكم)، فرَسْمُهما هكذا في آنٍ واحدٍ إنَّما هو دالٌ على نُطق الهمزة على مذهب من يحقِّق الهمزة مبدوءًا بها في الكلام، وأمّا (الياء) فهي مرسومةٌ على مذهب مَنْ يُسهِّل في حال الوصل، فتصبح: بييد.[41]

ب. زيادة الياء في نهاية الكلمة: (نبإِي)

وتُزاد الهمزة في نهاية الكلمة في رَسْم المصحف مُراعاةً للنُّطق في الكلمة الآتية: (مِنْ نبإِي) (الأنعام 34)، والسَّبب في وجودِ أكثرَ من رمزٍ للهمزة هو نطقُ الكلمة

وَفقًا لِلَهْجة مَن يخفِّف الهمزة مِن جهةٍ، فلذلك كُتبت (الهمزة) على ألفٍ في أول الكلمة، ومِن جهةٍ أخرى، رُسِمت (الواو) وفقًا لِلَهْجة مَن يخفِّف الهمزة (واوًا) خفيفةً، فجاء الرَّسْم مُراعِيًا للنُّطق في كلتا الحالتينِ. وقد رفض هذا الباحثُ آراءَ السَّلَفِ المتعلِّقة بتفسير هذه الظَّاهرة جُمْلة وتفْصيلا، كأن تكون هذه طريقة القدماء في الإشارة إلى الحركات القصيرة، أو لملاحظة الفرق بين هذه الكلمات وغيرها من حيثُ الشَّكْل. ويشير أيضًا إلى أنَّ الكتابة لم تسجِّل الحركات القصيرة؛ لذلك يرفض القول بأنَّ زيادة الواو أو الألف أو الياء جاءتْ رمزًا للحركات القصيرة: الضمة والفتحة والكسرة.[35]

ومن الحجج التي ساقها لدحض مسألة منع اللبس بين (أولئك) و (إليك) أن كتّاب الرسم يستطيعون أن يرسموها (ألائك)، لكي لا تلتبس بـــ(إليك)، ولكنها رسمت في المصحف الشريف (أولئك) مراعاة لما أسلفنا.[36]

ب. زيادة الواو في الأفعال (سأوريكم) (أنلزمكموها):

وقد بحث هذه الكلمة الأستاذ غانم الحمد بحثًا وافيًا، فهو يرى أنَّ رَسمها يمثِّل نُطقًا مُزْدوجًا، مرَّةً بتحقيق الهمزة في بَدْء الكلمة؛ لذلك كتِبتْ على ألف (أ)، ومرَّةً أُخرى عندما سُبِقت الهمزة بحروفٍ زائدةٍ كالسين في (سَأُوريكم)، كما وردت في الآية الكريمة: (سأُوريكم دارَ الفاسقينَ) (الأعراف 145)، فرسمت الهمزة (واوًا) عندما تُخَفَّف أثناءَ وصل الكلام، فتُلفظ (واوًا) خفيفة، فجاء الرَّسم موافقًا لضرورة النُّطق وَفْقَ تلك اللّهجة، ويصل الباحث إلى نتيجةٍ مُؤدّاها أنّ كُتّاب المصحف الشريف راعَوا النُّطق القديم بالألف، والنُّطق الجديد بالواو، دون أنْ يغيِّروا شيئًا في النُّطق القديم، وبذلك تحقَّقتِ الازدواجيَّة في رَسم المصحف. ثم استعرض الباحث الحُجَجَ التي جاء بها القُدماء، لتفسير زيادة (الواو) في (سَأُوريكم)، ورفضَها جميعًا، باستثناء القول بأنَّ الرَّسم يمثّل حالتي الوصل والفصل في رَسْم الكلمة.[37]

ومِن الحُجج والوجوه التي ساقها القدماء لتفسير زيادة (الواو) أنَّها صورة حركة الضمَّة في الهمزة، على اعتبار أنَّ القدماء كان مِن عادتهم أنْ يصوِّروا الحركاتِ القصيرة مِن طريق الحروف الواو والألف والياء، أو أنّها جاءت لبيان الهمزة، أو أن تكون الحركة نفسها، أو أن تكون (الألف) جاءتْ تلبيةً لإشباع فتحةِ ما قبلها، وقدْ تكون كُتبت لموافقة قراءةٍ شاذَّةٍ (سَأُوَرِّثُكم).[38]

العرب لم تَستَعمِلِ الشَّكل حينَئذٍ، فاضْطُرّوا إلى تَصْوير الحَرَكات، حِرْصًا على النُّطق، عن طريق الحروف. وهو ما يشبه السّبب في زيادة (الواو) في (أولئك)، وذلك حِرصًا على نُطق الهمزة المَضمومة التي سبقتها، ولكي لا تَلتبسَ بكلمة (إليك)، إذ لم يَكنِ الشَّكْلُ موجودًا في الكِتابة العربيَّة آنَذاك. وهكذا الأمر فيما يتعلَّق بكلمة (عمرو) فقد جُلِبتِ (الواو) منعًا للَّبْس بينها وبين (عُمَر)، ولمّا زال الخوف من اللَّبس في حالة النَّصْب: ضرَبَ زيدٌ عَمْرًا لم نحتجْ إلى تلك (الواو) الزّائدة، لأنَّ (عُمَر) ممنوعٌ مِن الصَّرْف لا يقبل التَّنوين.[32]

الرأي الثاني: يرى فريقٌ مِن العُلماءِ أنَّ الحرف الزَّائد هو (الألف) المتَّصلة باللام (لاأوْضَعوا)، والسَّبب وراء زيادتها مُراعاة النُّطق في حرف (اللام)، أي إشباع حركة الفتحة القصيرة عليها في النُّطق، ولذلك جاء الرَّسْم مُراعِيًا لحاجة اللَّفظ، فَزِيدَتِ (الألف) بعد اللام، ثم جاءت الهمزة منفردةً على ألف.[33]

2. زيادة الواو:

أ. زيادة الواو في الأسماء:

وتزاد (الوّاو) في بعض الأسماء الواردة في القرآن الكريم مُراعاةً للنّطق، أو مَنْعًا للَّبْس، ويتجلّى ذلك في الأسْماء الأتية: أولئك، أولئكم، أولوا، أولي، أولات، أولاء.

وقدْ عَزا علماءُ الرَّسْم القُدماء زيادة هذه (الواو) إلى أسبابٍ أربعةٍ:

الأوّل: أنّها زيدتْ في (أولئك) لمنع اللَّبْس بينها وبين (إليك)، أو (إليكم) فيما يتعلَّق بكلمة: (أولئكم).

الثّاني: أنّها زيدت في (أولي) لمنع اللّبس بينها وبين (إلى).

الثّالث: أنّها زيدت لكونها صورةً لحركة الهمزة المضمومة التي سبقتْها؛ فجاءتْ تَقْويةً لها.

الرّابع: يُحتمَل أنّها زيدتْ تَنْبيهًا على إشباع حركة الهمزة المضمومة.[34]

والذي يَراه الباحث غانم الحمد إلى أنَّ الهمزة مرسومة في تلكم الكلمات رَسْمًا مُزدَوِجًا؛ للمحافظة على الرَّسم القديم بتحقيق الهمزة، مَبدوءًا بها في النُّطق، وكذلكَ رُسِمت بـــ(واو)، وهي صورةُ الرَّسم الجديد، عندما تُنطق الهمزة موصولةً مُخفَّفةً، على هيئة (واو) خفيفةٍ. أي أنَّ الرَّسم القرآني يمثّل صورتينِ لنطق تلكم الكلمات،

وقد يكونُ السَّبب وراءَ كتابة هذه الألف في (جايء) الحرص على نُطق الفعل بصيغة المَبنيِّ للمَجْهول، ومنع اللَّبس في حال إمالة الفعل جاء وَفْقًا للهجات التي تميل الألف إلى الياء، والله تعالى أعلم.

يايئس/ تايئسوا:

زيدَتِ الألفُ في هاتينِ الكلمتينِ في رَسْمِ المصحف: (ولا تَايْئسوا) (يوسف 87)، و:(أفَلَمْ يَايْئس) (الرعد 31).

ويقدِّم السَّخاوي (ت 643هـ) تفسيرين لزيادة هذه الألف:

الأول: أنَّها جاءتْ مُراعاةً لمَنْ ينطقُ الهمزة مُسهَّلةً، وقد حدث للكلمةِ قلبٌ مكانيٌّ، فبدلا من: ييأس أصبحت: يأيس، ثم سُهِّلتِ الهمزة، فصارتِ الكلمةُ أخيرًا: يايَس.

الثاني: زيدَتِ الألفُ مَنْعًا للَّبْس بينَ هاتين الكلمتين و (يئس) و(يئسوا)، كما زيدَتِ الألفُ في (مئة) منْعًا للَّبْس بينها وبين (منه). والدَّليل الذي يعضدُ به كلامه أنه لم تُزَدْ هذه الألف في (استيئس) و(استيئسوا) وفقًا للمصاحف التي لم تُثبِت الألف؛ لأنَّهما لا تلتَبِسان بغيرهما من الكلمات.[30]

والذي يراه الباحث غانم الحمد أنَّ هذه الصُّور في رَسْم المصحف جاءتِ استجابةً لظاهرة تخفيف الهمزة، فقرَّر أنَّ (يايئس) تُخفَّفُ فيها الهمزة كما خُفِّفت في (هيئة) و(سوءة)، ويعترض على من قال بإسقاط الهمزة ونقل حركتها، أو بإسقاطها، و إدخال حرف لين قبلَها، ولا يؤيِّد العلماءَ الذين يروْنَ أن الألف زائدة، أو أنْ يكونَ قد وقعَ قلبٌ مكانيٌّ في الكلمة. ولكنَّه يرى أنَّ رَسْم الألف يدلُّ على تسهيلها، وَفقًا لبعض القراءات.[31]

لأاذبحنه/ لأاوضعوا:

وقد زيدَتِ (الألف) في: (أو لأاذْبَحنَّه) (النمل 21)، وهنالكَ خلافٌ بين العلماء حول السَّبب في زيادة هذه الألف، وموقع هذه الزِّيادة.

الرَّأي الأوَّل: الحرف الزَّائد هو (الألف) التي جاءت بعد الهمزة المُتّصلة باللّام (لأ)، وعلَّة زيادة (الألف) وَفْقًا لأصحاب هذا الرَّأي هو مُراعاة النُّطق في حركة الهمزة التي سبَقَت الألف الزّائدة وهي الفتحة، أيْ أنَّها (صورة لحركة الهمزة)، والسَّبب أنَّ

أنَّ الكلمة تَكرَّرتْ في بعض البَرْدِيّات العربيّة مِن القرن الأوّل بزيادة الألف؛ مما يثبت أنَّها عادةٌ كتابية اعتادها الكَتَبة في تلك الفترة.[26]

إذًا قد يكون السَّبب وراء رَسم الألف زائدة لتأكيد حركة الفتحة القصيرة في حرف (الشّين)، كي لا يلتبسَ نُطْقها بنُطْق كلمةٍ أُخرى كـ(شَتّى) أو ما شابه، والسؤال الذي يقوم في الذِّهن: ما سببُ زيادتها هنا في سورة (الكهف) دونَ غيرِها في القرآن الكريم؟ لا تتوافر إجابة مِن وُجهةِ نظرٍ نحْويَّة أو كتابية لها علاقة بتاريخِ الخطِّ العربيِّ. لذلك نَرى مِن المُفيد الاستعانة برأي المراكشيّ (ت721 هـ)، الذي أورد سِرًا مِن أسرار الرَّسم وراء رَسْم الألف زائدةً في سورة الكهف، وهو أنّ (الشّيء) له صورةٌ حقيقيّة في الذّهن فقطْ، أمّا في الواقع (العيان) المُشاهد فلا وجود للشّيء، وهو ما تختصُّ به الآية في هذا الموقع دون غيرها.[27]

<u>جيء/ يايئس:</u>

جاءت الألف زائدةً في الفعل (جاء) بصيغة المبني للمَجهول (جيء) في الآيتين الكريمتين:(وجايءَ بالنَّبيّين) (الزمر 69)، و: (وجايءَ يَوْمَئِذٍ بِجهنَّم)(الفجر23).

فلا تُنطق (الألف)، وإنمّا أُثبتت في رَسْم المصحف زائدة، ونجد أبا عمرٍو الدّاني يُؤَوِّل زيادتها لمعنيين:

الأول: للفرق بينَ (جيء) و (حتى)، بما يُشبهُ زيادةَ (الألف) في كلمة (مئة/مائة) للفرق بينها وبين (منه)، أي لمنع حدوث اللَّبْس في قراءة الكلمة، على اعتبار خُلوِّ الكتابة في تلك الفترة المبكّرة من النقط.

الثاني: جاءتِ الألف زائدةً تقويةً للهمزة في نهاية كلمة (جيء)، وذلك لأنّ الهمزة جاءت مُتطرّفة، فحرص رسم المصحف على لفظها، ولا يرى أبو عمرٍو الدّاني أن (الياء) تشكِّل حاجزًا رصينًا بين الألف الزائدة والهمزة المتطرِّفة.[28]

ولم يقدِّم الباحث غانم الحمد تفسيرًا لهذه الظّاهرة، وأشار إلى صُعوبة الوصول إلى تعليلٍ مُقنعٍ لوجود هذه الظاهرة.[29] وهنالك ملحوظة يجدر الانتباه إليها وهي أنَّ الكلمات: شايء، وجايء، ويايئسوا زيدت فيها الألف قبلَ الهمزة، الأمر الذي قد يؤكّد العلاقة بين وُجود تلكم الألف الزّائدة والهمزة.

يُسهّل الهمزة مِن العرب، وهم أهل الحجاز.[22] ويشيرُ غانم الحمد إلى ظاهرةٍ في الكتابة العربيَّة، وهي أنها تحتفظُ بمُخَلَّفات في نُطق العربية قديمة قد درَستْ واختفتْ مِن الاستعمال؛ لأنَّ الكتابة لا تُواكبُ اللغة المنطوقة التي هي عرضةٌ للتَّغيُّر والتَّطوُّر.[23] والذي يَعضُدُ جُزْءًا مِمّا قاله الحمد أنَّ المعاجم العربية تشير إلى أن أصل كلمة (مائة): مِئْيَة،[24] فإذا سهَّلنا الهمزة أصبحت: ميّة، ومازالت بعض العاميات في العالم العربي تلفظها: ميَّهْ، وهذا ما يفسّر وجود (الياء) في كلمة (مائة)، ولكن السرَّ وراء زيادة الألف في (مائة) لا يزال غير مجلو.

وما يَسْتوقِفُنا في هذهِ المسألة أنَّ منعَ اللَّبْس بينَ (مئة) و (مِنْه) بزيادة (ألف) لا تُنطقُ في (مائة) منطقيٌّ ومُقنع، خاصَّةً وأنَّ العدد (مئة) شائعٌ جِدًا في المُعاملات الماليَّة بينَ النَّاس، وهو ما يؤدّي إلى خلافاتٍ كثيرةٍ، ومُشاحناتٍ بينهم؛ فعلى سبيل المثال لو صادفتْنا هذهِ العبارة في المُعامَلات الماليَّة: وَصلَني مِنْه مئة دينار... فإن التَّحْريف والتَّشويش يَحْتمِلانِ الوقوعَ في صيغة هذا العَقْدِ مُسْتقبَلا، كأنْ يَرى أحدُهم أنَّ هُناكَ تَكْرارًا لكلمة (منه)، وعليه فقيمة الدَّيْن (دينارْ واحِدٌ) وليس (مئة دينار)، فجاءت هذه الألف الزائدة قاطعةً الطّريق على مَن يتأوَّلُ تلكم العبارةَ، فلا يُمكنُ وُقوعُ اللَّبْس بين (مائة) و (منه)، وما يعضدُ ذلك خُلوّ النُّصوص القديمة من التّنقيط.

زيادة الألف قبل (الياء) في: شايء:

وتُزاد الألف في بعض الكلمات في القرآن الكريم، منها: شايء كما في الآية: (ولا تَقولَنَّ لِشَايْءٍ) (الكهف 23).[25]

والذي يراه علماء الرَّسْم قَديما أنَّ هذهِ الألفَ زيدت لمعنيين:

1- لإزالة اللَّبْس بينها وبين كلمة (شتى).
2- تقويةً للهمزة في نهاية الكلمة.
3- علامةً لفتحة الشّين عند القدماء.

ولم يؤيّد الباحث غانم الحمد هذه التَّفسيرات، ورَأى أنَّ زيادة (الألف) في كلمة (شيء) انعكاسٌ لواقع الكتابة التي كانت شائعةً في القرن الهجريّ الأوَّل، وخاصَّةً

زيادة الألف مراعاة للنطق في: الظنونا والرسولا والسبيلا:

وما هذه (الألف) التي زِيدَتْ في نهاية الكلمات: الظُّنونا، والرَّسولا، والسَّبيلا (الأحزاب 10 ، 66، 67) إلا إشباعٌ للفتحة القصيرة في نهاية تلكم الكلمات، مُراعاةً للنُّطق، وخاصَّةً في حال الوصل، معَ أنَّ بعض القُرّاء أثبتها جميعًا في الوصل والوقف.[17] ومعلومٌ أنَّ أقيسة النُّحاة تمنع مجيء (ألف) النَّصب التي تحلُّ محلَّ التنوين في حال الوقف، فلا نقول: قرأتُ الكِتابا، أي لا تجتمع (ال) التَّعْريف والتَّنوين في كلمةٍ واحدةٍ.

ويقرِّر أبو عبيد القاسم بن سَلّام (ت 224هـ) أنَّ إثبات هذه الألفات في الوقف في الرَّسْم القرآنيِّ اتِّباعٌ لمذاهبِ العرب وطرائقها، في أشعارها وقوافيها، حيثُ إنَّنا نقفُ في نهايةِ البيتِ على حرْف الرَّوِيِّ، أيْ أنَّ الشّاعرَ يُشبع الضمَّة القَصيرةَ فتُصبحُ (واوًا)، ويُشبع الفتحةَ فتُصْبحُ ألِفًا، ويُشبعُ الكسرةَ فتُصبحُ (ياءً)، والقرآنُ الكريمُ نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ. كَما أنَّهُ يقرِّر كَراهةَ إثباتِ هذهِ الألِفاتِ في نِهايةِ تلكم الكلمات فيما أسماه (إدماج القراءة)؛ لأنَّه يَرى أنَّ فيه خُروجًا عن أساليبِ العربِ في الكلامِ.[18]

ويدخلُ تحتَ بابِ مُراعاة النُّطق في الرَّسْمِ القرآنيِّ صرفُ الممنوع مِن الصَّرْف في "سَلاسلا" و "قَواريرا" وغيرهما، فكُتِبَتا بـــ(الألف) عِوَضًا عنْ تَنْوين النَّصْب.[19]

ب ــ زيادة الألف في وسط الكلمة:

زيادة الألف في مائة و مائتين:

وتُزاد (الألف) في (مائة) إفرادًا وتَثْنيةً وجمْعًا، فلا حظَّ لها في النُّطْق، بلْ زيدَتْ وَفْقًا لما قاله أبو عمْرو الدّاني إمّا منْعًا للَّبْس معَ كلمة (منه)، أو مُراعاةً للنُّطْق بِتحقيق (الهمزة) على لُغَة مَنْ يُحقِّقها مِن العرب، وهو ما تبنّاه الدّاني للتَّشابه بينَ الهمزة والألف.[20]

ويرفضُ غانم الحمد كِلا الرَّأْيينِ المَذكورَيْنِ آنِفًا، ويَرى أنّ الألف في (مائة) جاءتْ مُراعاةً لِلُغةِ مَنْ يُحقِّق الهمزة مِن العرب، وخاصَّةً أنَّ بعض النُّحاة كان يَكتبُ الهمزة على (ألف) في كُلِّ أحوالها،[21] هكذا: مأة، وجاءتِ الياء (ئــ) مُراعاةً لِمَن

في آخرِ الكلمةِ هي "ألو حرف" آخَرُ للميمِ بِحيْثُ تُكْتَبُ في آخرِ الكلمةِ مَتْبوعة بِخَطٍ يُشْبِهُ الألفَ ولكنَّهُ مُتّجِهٌ إلى الأسفلِ"م".

وَبِنَظْرَةٍ إِحْصائيّةٍ لأَشْكالِ الحروفِ العربيّةِ نَجِدُ أَنّ هذهِ الحروفَ في مُعْظَمِها لها صورةٌ مُمَيَّزةٌ حينَ تُكْتَبُ في آخرِ الكلمةِ، باسْتِثْناءِ الحروفِ التي لا يَتّصِلُ بِها شَيْءٌ مِنَ الحروفِ بعدَها (ر ز د ذ)، وكانَ مِنَ المُفْتَرَضِ أنْ يُعامِلَ الإملائيّونَ العربُ الواوَ مُعامَلَةَ هذهِ الحروفِ لأنَّ الواوَ مثلها لا تَتّصِلُ بِما بعدَها، ولكنَّهُم أَدْرَكوا أَنَّ في العربيَّةِ واوَ عَطْفٍ يَكْثُرُ استِخْدامُها في الكلامِ، ويُخْشى الخَلْطُ بينَها وبينَ الواوِ الخِتاميّةِ في الكلمةِ فَوَضَعوا هذهِ الألفَ لِتفْصلَ بينَ الكلمةِ وما بعدَها مِنْ كَلِماتٍ.

وقدْ أشار الباحث غانم قدوري الحمد إلى ما أسلفناه مِن زيادة (الألف) بعد (الواو) للفصل بينَ الكلمات، ولكنَّه استبعد هذا الاحتمالَ، ولمْ يُقدِّم تفسيرًا ظاهرًا مُحدَّدًا لا شكَّ فيه، بلْ ترك تفسير هذه الظّاهرة مفتوحًا أمام الباحثين في المستقبل.[15]

والمشكل في هذه المسألة هو عدم اطِّراد زيادة (الألف) بعد كلِّ (واو) مُتطرِّفةٍ في القرآن الكريم، نحو: (وعَتَوْ عُتُوًّا كَبيرًا) (الفرقان 21) و: (والذينَ سَعَوْ في آياتِنا) (سبأ 5)، فقد حُذِفت (الألف) في العديد من الكلمات في رَسْم المصحف، ويرى الباحث غانم قدوري الحمد أنَّ الكتّاب حذفوا (الألف) مُراعاةً لِما ينطقونه، خُروجًا عنِ القاعدة القديمة بزيادتها، أي أنّ الباحث يربط بينَ رَسْم المصحف وتطوُّر الكتابة العربيَّة، إذْ إنَّ عُلماءَ الكتابةِ العربيَّة يُراعون النُّطْق في كتابة الكلمات؛ لِذلك يَجْري الرَّسْم وَفقًا لِلَّفظ، خاصَّةً إذا لم ينقل الكاتب الكلمة عن نصٍّ مكتوب، وهو ما يبرِّرُ ظاهرة حذف (الألف) الفارقة في بعض الكلمات في رَسْم المصحف.[16] والذي نراه أنَّه لا أدلَّةَ كافيةً تؤكِّدُ أنَّ حذف (الألف) مِن تلكم الكلمات هو نتاجٌ لتطوُّر الكتابة العربيَّة في تمثيل المكتوبِ للمنطوق، ولربُّما كان لخروج هذه الكلمات عن أضرابها في الرَّسْم سرٌ خفيٌ لا يعلمُه إلا اللهُ، عزَّ وجلَّ: (والرّاسِخونَ في العِلمِ يَقولونَ آمَنّا بِهِ كُلٌ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا) (آل عمران 7).

ومِمّا يُؤَكِّدُ أَنّ هذهِ الألفَ وُضِعَتْ أَصْلا فاصلةً أَنَّكَ تَجِدُ العلماءَ في القراءةِ ناقَشوا قولَهُ تعالى: (وإذا كالوهُمْ أوْ وَزَنوهُم يُخْسِرون) (المطففين 3) أَهِيَ كالوا هُمْ أَمْ كالوهم؛ فإنْ كانتْ (كالوهم) عُدَّ الضّميرُ (هُمْ) ضَميرًا مُتَّصِلا، أمّا إنْ كانَتْ (كالوا هُمْ) فالضّميرُ (هُمْ) ضَميرٌ مُنْفَصِلٌ. وقَدْ خَلَصوا إلى القولِ: إنّ (هُمْ) ضَميرٌ مُتّصِلٌ في الآيةِ بِدَليلِ الرّسْمِ، إذْ كُتِبَتْ: كالوهُمْ بِغيْرِ ألفٍ فَصْلٍ.[11] وقالَ ثَعْلَبٌ أحمدُ بنُ يَحْيى (ت291هـ) تَوْضيحًا لِهذهِ المَسْأَلةِ: "إذا قُلْتَ: ظَلَموهُمْ، وكانتْ (هُمْ) اسْمًا مَنْصوبًا لمْ تكْتُبْ أَلِفًا، لأَنّها اتّصَلَتْ بالفعلِ كاتّصالِ الهاءِ في (ظَلَمَهُ)، وإنْ كانتْ تَوْكيدًا في (ظَلَمو) كَتَبْتَ (ظَلَموا) بالألفِ، لأَنَّكَ إنّما جِئْتَ بـ (هُمْ) تَوْكيدا".[12] غيرَ أنّ الجُهَنِيَّ (ت422هـ) ذَكَرَ أنّ عيسى بنَ عُمَرَ الثَّقَفيّ (ت149هـ) كانَ يَقِفُ على (كالوا) و (وَزَنوا) بالألفِ ثُمَّ يَبْتدِئُ: "هُمْ يُخْسِرونَ"، ونَسبَ عيسى بنُ عُمَرَ هذا الرّأْيَ إلى حمزةَ بنِ حبيبٍ الزيّاتِ (ت156هـ) وهُوَ أَحَدُ القُرّاءِ السَّبْعَةِ.[13]

وهُنا يَتّضِحُ دَوْرُ هذهِ الألفِ بِحَسَبِ فَهْمِ القُدَماءِ بِأَنّها وسيلةٌ لفصلِ الكلمةِ عَمّا بعدَها وكَأَنّها في لغةِ العَصْرِ الفراغُ الذي نَتْرُكُهُ بَيْنَ الكلماتِ أَوْ هِيَ ما يُقابِلُ "أَيْقونَةَ space" على لوحةِ المفاتيحِ في الحاسوبِ اليوْمَ.

ولَعلَّ الرَّسْمَ القرآنيَّ واضحٌ في التّفريقِ بينَ "وإذا كالوهُمْ" وآيةٍ أُخْرى: (وإذا ما غَضِبوا هُمْ يَغْفِرونَ) (الشّورى 37)، وآيةٍ ثالثةٍ: (كانوا هُمْ أشدَّ منهم قُوَّةً) (غافر 21)، ورَابعةٍ: (ولكنْ كانوا هُمُ الظّالمين) (الزخرف 76).

فالضّميرُ (هُمْ) في الآياتِ الثّلاثِ الأخيرةِ ضَميرٌ مُنْفَصِلٌ لا مُتّصِلٌ، بِدليلِ الألفِ في رَسْمِ المُصْحفِ. ويُؤَيّدُ هذا الفَهْمَ للألفِ الزّائدةِ بعدَ الواوِ أَنّكَ تَجِدُ للحرفِ العربيِّ صورةً مَخْصوصةً في آخِرِ الكلمةِ، تَدُلّكَ على أَنّ الكلمةَ قدِ انْتهتْ، لِتَفْصِلَ حروفَها عَمّا بعدَها. فالباءُ مَثَلًا في أَوّلِ الكَلِمَةِ وأَوْسَطِها لَها صورةٌ (بـ)، أمّا في آخِرِ الكَلِمَةِ فلَها صورةٌ مُمَيَّزَةٌ بإضافةِ عَقَفةٍ إلى آخِرِها (ب)، وكذلكَ حالُ التّاءِ والثّاءِ. والجيمُ لها شَكْلٌ مُمَيَّزٌ في آخِرِ الكلمةِ والسّينُ والعيْنُ بِحَيْثُ يُمْكِنُ القولُ: إنّ الحرْفَ في العربيِّةِ لَهُ صُوَرٌ كِتابيّةٌ يَصِحُّ عَلَيْها ما سَمّاهُ اللُّغَوِيّونَ المُعاصِرونَ:[14] "الحَرْفيمُ والألوحَرْف" أَخْذًا بِنَظَرِيّةِ "الإيمُ" في عِلْمِ اللُّغةِ الحَديثِ. فالميمُ هُوَ الحَرْفيمُ ولكِنَّ صورةَ الحَرْفِ في أَوّلِ الكلمةِ أوْ وَسَطِها تُسَمّى "ألوحرف" وصورةُ الميمِ الكِتابيّةُ

أ ــ زيادة الألف في نهاية الكلمة:

الألف الفاصلة الفارقة:

تُزاد هذه الألفُ، التي لا تنْطَقُ، في القرآن الكريم في نهاية الكلمة (في الأسماء والأفعال) بعدَ الواو الأصليّة التي هي لام الكلمة، وبعد ضمير الجماعة، وبعد الهمزة المضمومة التي رُسِمتْ على (واو):

الأمثلة: ، الربوا، قالوا، امرؤا، يعبؤا، الضعفؤا، ويرى أبو عمرٍو الداني (ت 444هــ) أنّ السبب في زيادة الألف بعدَ الهمزةِ المَضمومةِ المرسومةِ على (واو) هو التَّشابهُ بينْها وبينَ (الواو) الأصليَّة، وضميرِ الجماعة في وقوعهنَّ جميعًا طرَفًا للكلمة.[8]

وقد ذكر عُلماء الرَّسْم، قديمًا وحديثًا، أسبابًا عديدةً ومتنوِّعةً لِوجود الألف في هذه المواقع، والرّاجح أنَّها وَضِعتْ لأمرٍ مُهمٍّ جِدًا، وهو الإشارةُ إلى نِهايةِ الكلمة منعًا للَّبْس، أيْ لوضع حدٍّ فاصلٍ لا يشوبه شكٌّ بينَ الكلمةِ وبينَ ما يليها. والذي يُجدَرُ الإشارةُ إليهِ هنا أنَّ ابنَ قُتيبةَ يُصرِّحُ بِما لا يَدَعُ مَجالا للشكِّ بِأنّ هذه الألفَ كانَتْ تزادُ بعدَ كُلِّ واوٍ في آخرِ الكلمةِ؛ سَواءً أكانتْ واوًا أصْلِيّةً مِثلَ: (يغزوا ، ويدعوا)، أوْ كانتْ واوَ جمْعٍ أوْ جماعةٍ أوْ غيرَ ذلك . حتّى قالَ: " إنّ مُتَقدِّمي الكُتّابِ لمْ يزالوا على ما أنبأْتُكَ مِنْ إلحاق ألفِ الفصلِ بهذه الواواتِ كلِّها لِيكونَ الحكمُ في كلِّ مَوْضعٍ واحدًا".[9]

ورأْيُ ابنِ قُتيبةَ هذا يُفسِّرُ لنا بعضَ قضايا الرَّسْمِ العثمانيِّ في المُصحفِ الشّريفِ إذْ نَجِدُ فيه:(تدعوا مَنْ أَدْبرَ وتَولّى) (المعارج 17) و:(قُلْ هذهِ سَبيلي أَدْعوا إلى الله) (يوسف 108)، و:(إليه أدعوا) (الرعد 36)، و:(ولَوْ تَرى إذِ المجرِمونَ ناكِسوا رُءوسِهم) (السجدة 12)، و: (وما يَذَّكَّرُ إلا أولوا الألْباب) (آل عمران 7) ، و في كُلِّ آيةٍ وَرَدتْ فيها كلمة (أولو) في القرآنِ كُتِبَتْ بِألفٍ زائدةٍ.

وأَكْثرُ مِنْ ذلك أنّكَ تَجِدُ في القرآنِ كلماتٍ خُتِمَتْ بِواوٍ هيَ صورةٌ للهمْزةِ وقَدْ أُتْبِعَتْ بِألفٍ مثلِ: (العلمؤا) في (إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِه العُلَمؤا) (فاطر 28) و (إنِ امْرُؤٌا هَلَكَ) (النساء 176).[10]

تَبرُّكًا بأصحابِ رسول الله، وتكلَّفوا لعملهم هذا تَعْليلاتٍ وحِكَمًا لم تَخْطر في بال الصَّحابة.

والذي يُجمِع عليه علماء الرَّسْم العُثمانيّ مِن المسلمينَ في عصرِنا هذا أنَّ ما أمرَ الخليفة الرّاشد عثمانُ بنُ عفّانَ، بِجَمْعِهِ في المصحفِ الإمامِ خاليًا من النَّقْط والشَّكل، الذي أُرسِلَتْ نُسَخُه إلى الأمصار، يُوافق ما كُتِب بحضرةِ النَّبيِّ، صلّى الله عليه وسلَّم، وفقًا للعرْضة الأخيرةِ عامَ وفاته، فهو إذًا توقيفيٌّ، لا يجوزُ تغييره، أو كتابته وَفقًا لقواعدِ الإملاء الحديثة.[7]

ولأَجْلِ تَجْلِيةِ موضوعِ الدِّراسةِ "رسْم المُصْحف بينَ مُراعاة النُّطق ومَنْع اللّبْس"، سينْصبُّ الحَديث في هذه الدِّراسةِ على خَمْسةِ مَحاورَ مُتَعالقةٍ ومُتَعاضِدَةٍ، وهي: زِيادةُ الألفِ والواوِ والياءِ، ثُمَّ حذْفُ الألفِ والواوِ والياءِ، ثُمَّ رَسْمُ الصّادِ والسّينِ، ثُمَّ رَسْمُ هاءِ التَّأْنيثِ، وأَخيرًا رَسْمُ الهمْزةِ وَسَطَ الكلمة وآخِرَها. وقدِ اخْتيرَتْ هذهِ المَحاورُ بِعِنايةٍ فائقةٍ، لمِا لهَا مِنْ أَهمِّيَّةٍ في مَوْضوعِ الرَّسْم القُرْآنيّ، ولِتَداوُلِها في كُتُبِ الرَّسْم ومَظانِّه الكَثيرةِ.

أولا: زيادة الألف والواو والياء:

1. زيادة الألف:

تُزادُ الألفُ في القرآن الكريم في مواضعَ عدَّةٍ، وقد حاول عُلماء الرَّسْم كشْف هذه المعاني وتَجْلِيتِها جيلا بعدَ جيلٍ، فنجَحوا أحيانًا، ولكنَّ بعضَ هذهِ المعاني ما زالَ يَستعصي عليهم، بانتظار جهود العلماء العاملين.

ولكن الذي يهمُّنا في هذا البحثِ هو الزِّيادةُ التي روعِيَ فيها مُراعاة النُّطق واللفظ، أو منع اللَّبْس، وما عدا ذلك فليس هذا المكان لبسطه، ولْنبدأ بالحالات التي تُزاد فيها الألف في القرآن الكريم:

عن ذلكَ النِّظام في الكتابة إلا لِأَهدافٍ مُحدَّدةٍ، كالحاجة إلى كتابة الكلمةِ بحيثُ تُقْرأُ على أكثرَ مِن وجْهٍ وَفْقًا للقراءاتِ القُرْآنيَّةِ، نحوَ ظاهرةِ تسْهيل الهمزةِ أوْ تحقيقها؛ لِذلكَ نرى هذا الفريقَ يبحث عنِ الحِكمة التي دفعتْ بالصَّحابةِ إلى الخُروجِ عنِ الإملاء العربيِّ في تلكَ الفترةِ، فقدْ يكونُ السَّببُ نَحْويًا أوْ صوتيًّا أوْ لَهْجِيًّا أو دِلاليًّا أوْ صَرْفِيًّا. ويمثِّلُ هذا الاتِّجاهَ أبو بكرٍ الباقلانيُّ وغيرُه منَ الأقدمينَ، وبعض المحدثين.[3]

الثالث: يَرى هذا الفريقُ أنَّ خُروجَ الصّحابةِ في رَسْمهم للمصحف عنِ الأقيسةِ التي وضعها عُلماءُ الكتابة العربيَّة هو بسبب جهلهم لهذهِ الصّنَاعة (الكتابة)، فهم أهلُ بَداوةٍ أُمِّيُّونَ، والكتابة لدى البَدْوِ عَزيزةٌ، وهذا، برأيهم، لا يضعُ مِنْ قدْرِ الصَّحابةِ ومنزلتِهم؛ لأنَّ إجادةَ الصَّنائعِ أوْ عدمَ إجادتِها لا عَلاقةَ لهُ بقيمةِ الصَّحابةِ وقربهم من رسول الله. لِذلكَ فكلُّ خُروجٍ في رسْمِ المصحف عنِ الأقيسةِ المعروفةِ في الإملاء العربيِّ هو أخطاءٌ كتابيَّةٌ مصْدرُها عدمُ إتقانِ صناعةِ الخطِّ في تلكَ الفترةِ المبكِّرةِ عندَ العربِ، ويمثِّلُ هذا التَّيّارَ الفرّاءمِن القُدامى، حيثُ يعلِّق على زِيادة (الألف) في كلمة "لأاوضعوا"، وعلى حَذْف (الياء) من الفعل المضارع "تغنِ" في الآية الكريمة: (حِكْمةٌ بالِغةٌ فَما تُغْنِ النُّذُر) (القمر5) بقوله: " وهو مِنْ سوءِ هِجاءِ الأوَّلين".[4] ثمَّ يأتي في المقام الثاني ابنُ قُتَيبةَ الذي عدَّ كلَّ خُروجٍ للرّسْم العُثْمانيّ عن أصول الكتابة العربيَّة خطأً مِن الكُتّاب.[5] ثمَّ ابنُ خلدونَ مِن المتأخرين. ويُنكر هؤلاءِ العلماءُ إعجازَ الرسْم القرآنيِّ، ويرَوْنَ أنَّ التزامَ اللاحِقينَ برَسْم المصحف من باب التَّبرُّك بخطِّ الصَّحابة كما نتبرَّك بخطِّ أحدِ العُلماء. فلا مانعَ وَفْقًا لهذا التيّار من كتابة خطِّ المصحف بالإملاء المتأخِّر، فكما يقول ابنُ خلدون:

"وما حملَهم على ذلكَ إلا اعتقادُهم أن في ذلك تنزيهاً للصّحابة عن توهُّم النَّقص في قلَّة إجادةِ الخطِّ. وحَسِبوا أنَّ الخطَّ كمالٌ، فنزَّهوهم عنْ نقصه، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته، وطَلَبوا تعليلَ ما خالفَ الإجادةَ من رسمه، وذلك ليس بصحيح. واعْلَمْ أنَّ الخطَّ ليسَ بِكَمالٍ في حقِّهم، إذِ الخطُّ مِنْ جُمْلةِ الصَّنائعِ المَدنيَّةِ المَعاشِيَّة ...".[6]

والذي يقصده ابنُ خلدونَ أنَّ الصَّحابة لم تكن قد استحكمَتْ عندَهم إجادةُ صِناعةِ الخَطِّ فأخطئوا في مَواضِعَ مِنْ رسْمِ القُرآنِ، وتابعَهم على هذا الخَطأ مَنْ جاء بعْدهم

ومِنَ الأهْدافِ الرَّئيسةِ التي يَضعها البحث نُصْبَ عيْنَيْهِ الكشْفُ عنْ أمريْنِ أساسيَّين يَتعاورَانِ رَسْمَ المصحفِ وهما مُراعاة النُّطْق، على اعْتِبارِ أنَّ المرسومَ يُوافقُ المنْطوقَ مِنْ جهةٍ، ومَنْع اللَّبْسِ الذي يُحتمَلُ أنْ يقَعَ في ذهنِ القارئِ أوِ المُتلقّي مِنْ جهةٍ أُخْرى. وثمَّةَ هدفٌ تَطْبيقيٌ آخَرُ مُهِمٌ لهذا البحْثِ وهو الرَّبْطُ بينَ الإملاءِ المعاصرِ والرَّسْمِ العُثْمانيِّ؛ مِنْ أجلِ التَّغلُّبِ على المُشْكِلات العَويصةِ التي تَعْترِضُ الكَتَبَةَ على اخْتِلافِ أعْمارِهم وثقافاتهم في يومِ النَّاسِ هذا.

ويُجدَرُ بِنا ــ قبلَ الخَوْضِ في تفاصيلِ البحْثِ وتَفرُّعاته ــ الحديث عنْ تَعريفِ الرَّسْمِ العُثْمانيّ. فهو العِلْمُ الذي يختصُّ بِطريقةِ كتابةِ ألْفاظِ القُرْآن الكريم وَفْقَ نَمَطٍ خاصٍّ، تَبَعًا لِما كَتَبَه الصَّحابةُ زمنَ الخليفةِ الرّاشد الثّالث عُثْمانَ بنِ عفّانَ، وقدْ نُسِبَ "الرَّسْمُ" إليه، فَقيلَ: الرَّسْم العُثْمانيّ؛ لأنَّه هو الذي أَمرَ بِجَمْعه في مَصاحفَ، فَأُرسِلتْ إلى الأمْصارِ الإسلاميَّة، فانفردَ كلُّ مِصْرٍ بمُصْحَفه الخاصِّ به.[1]

ويَنْقسمُ العُلماءُ فيما يتعلَّقُ بمسْألةِ الرَسْمِ العُثْمانيِّ للمصحفِ الشَّريفِ إلى تَيّاراتٍ ثَلاثةٍ:

الأوَّل: وهم أولئك الفريقُ مِنَ العُلماءِ الذينَ يرَوْنَ أنَّ رسْمَ المصحف الشَّريفِ توقيفيٌّ، كتِبَ في حَضْرةِ رسول الله، أثناءَ تنزُّلِ الوحْيِ أوَّلا بِأوَّل، وما هو موجودٌ في المصحفِ الآنَ مُوافِقٌ رَسْمُه لما تَنزَّلَ على النَّبيِّ محمَّدٍ، عليْه الصَّلاةُ والسَّلامُ، في العَرْضةِ الأخيرةِ قبلَ أنْ ينْتَقِلَ إلى جوارِ ربِّه؛ لذلكَ يَرى العُلماءُ الآخِذونَ بهذا الرَّأْي أنَّ لِرسْمِ المصحفِ أسْرارًا ولَطائفَ تُثْبتُ أنَّهُ مُعْجزٌ، وربَّما كُشِفَتْ لنا بعضُ هذهِ الأسرارُ، والكثيرُ منها لمْ يُكشفْ بعدُ، وهذا مِنْ أحدِ وُجوهِ إعجازِ القُرآنِ الكريمِ الكثيرةِ، التي تُثبتُ أنَّ هذا الكتابَ لا تَنْقضي عَجائبُه ولا يَدْرسُ جَديدُه معَ كثرةِ المُداولة بينَ العُلماءِ، وسيظلُّ هكذا دَيْدَنُهُ. وعلى رأسِ هؤلاءِ العَلامة البنّاءُ المَراكشيّ، والزَّرْكشيّ مِن بعدِه، ومِن المُحْدثينَ الشيخُ محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، ومحمد حبيب الله الشنقيطي وغيرهم كثير.[2]

الثاني: وهم أولئكَ العُلماءُ الذينَ يرَوْنَ أنَّ رَسْمَ المصحف اصْطلاحيٌّ، تَواضَعَ على كتابتِهِ الصَّحابةُ، رِضوانُ الله عليهم، واتَّفقوا على كتابتِه وَفْقًا لِنِظامِ الكتابةِ العربيَّةِ في تلكَ الفتْرةِ، أيْ ليسَ لِرَسْمِ المصحفِ قَوانينُ أوْ نِظامٌ مُسْتقلٌ في الكتابة، وإنما هو صورةٌ طِبقُ الأصْلِ لِنظامِ الكتابةِ آنذاك، وما خُروجُ الصَّحابةِ في رَسْم المصحف

رسم المصحف بين مراعاة النطق ومنع اللبس

د. ناصر الدين أبو خضير
جامعة بيرزيت

مقدمة:

هنالك العديد من الآيات القرآنية التي أَمَرَتنا أنْ نُداومَ البحثَ والنَّظَر في كِتاب الله، وعُلومِه الكثيرةِ التي تَستَعْصي على الحصْرِ والإحاطة. ومِنَ العُلومِ الشَّريفةِ المُتَعلِّقة بِكتاب الله تَعالى الرَّسْم العُثْمانيُّ للمُصْحفِ الشَّريفِ، فَبِه نُحافظُ على نصِّ المصحف، دونَ تَحْريفٍ أو تبديل.

ولم يكُنْ رسْمُ المصحفِ محْضَ تَحكُّمٍ و اخْتِيارٍ مِن قِبَلِ مَنْ رسموه، بلْ جاءَ وَفْقَ قواعدَ وأنظمةٍ دقيقةٍ، راعى فيها الصَّحابةُ، بِهدْيٍ مِنْ رَسولِ الله، وفي حَضْرتِه، في هذا الرَّسمِ موافَقةَ المكتوبِ للمَنْطوق، وإنْ لم يُوافِق المكْتوبُ المنْطوقَ في بعضِ المواضع، فلِأسرارٍ و أسبابٍ عرَفَها الصَّحابة، رضْوان الله عليهم، فمِنْها ما فسَّرها عُلَماء الرَّسْم قديمًا وحديثًا، ومنها ما يَزالُ غامِضًا يَنْتظِرُ مَنْ يُجلّيهِ ويَكْشفه.

إنَّ القاعدة الأولى في الكتابةِ العربيَّةِ، وفي غيرها، أنْ يُلائم المكتوبُ المنطوقَ تمامًا، وهذا ما روعِيَ في رَسْم المُصْحفِ، ولكنْ لرَسْم المُصحفِ خَصائصُ وقوانينُ تختلفُ في مَواضعَ عديدةٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ عنِ الإملاءِ القياسيِّ الذي وضعهُ عُلَماءُ العربيَّةِ قديمًا.

Journal of Qur'anic Studies 13.2 (2011): 171–201
Edinburgh University Press
DOI: 10.3366/jqs.2011.0029
© Centre of Islamic Studies, SOAS
www.eupjournals.com/jqs